


# خالد البسّام




## حكايات التبشير المسيحي في العراق ١٩٠٠-١٩٣٥م



**ثرثرة فوق دجلة / تاريخ**
خالد البسام / مؤلّف من البحرين
**الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤**




**المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
**المركز الرئيسي :**
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب : ٥٤٦٠ – ١١ ، العنوان البرقي :موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
**التوزيع في الأردن :**
**دار الفارس للنشر والتوزيع**
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس :٥٦٨٥٥٠١
E - mail : mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف :
**سيد محمد العلوي**

الصفّ الضوئيّ :
**المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
التنفيذ الطباعيّ :
**المطابع المركزيّة / عمّان ، الأردنّ**



ISBN 9953-36-511-3

# هذه الحكايات

بعد اجتماعات طويلة ومكثفة في بداية عام ١٨٨٩م بأحد كنائس مدينة «نيو برونزويك» بولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية ، صادق مجموعة شبان أمريكان متحمسين على تأسيس منظمة تدعى «الإرسالية العربية الأمريكية» هدفها الرئيسي التبشير بالمسيحية في منطقة الخليج والجزيرة العربية .

ولم تكد تنتهي تلك الاجتماعات التي قادها الدكتور لانسنج Dr. Lansing وثلاثة من مساعديه هم : جيمس كانتين James Contine وصموئيل زويمر Samuel Zwemer وفيليب فيلبس Philip Philips حتى راح هؤلاء المبشرون في صياغة أهداف الإرسالية ووضع آليات عملها ومصادر تمويلها وتشكيل فرق العمل وغير ذلك .

كان الهدف الرئيسي للإرسالية الأمريكية هو تحويل أهالي الخليج والجزيرة العربية إلى المسيحية ، أما اختيار الاسم فكان يهدف إلى إزالة أية شكوك من العرب نحو أنشطة التبشير .

ويذكر المبشران «زويمر» و«كانتين» أهم الأسباب التي دعت لاختيار المنطقة بقولهما :

«إن من بين الدوافع للعمل في (الجزيرة العربية) أولاً الأسباب التاريخية . إن للمسيح حق في استرجاع الجزيرة العربية . وقد أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة على أن



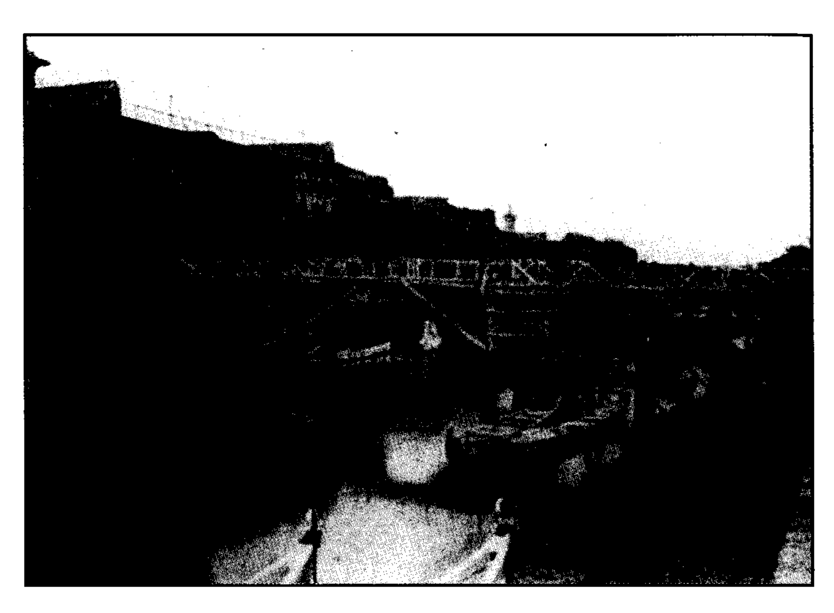
تلميذات مدرسة البصرة

المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها . وهناك دلائل أثرية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك ؛ ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية» .

وبجانب تلك الأسباب النظرية انتهزت الإرسالية وقادتها الأوضاع السيئة السائدة آنذاك في المنطقة حيث الجهل والتخلف وانتشار الفقر وسيطرة البريطانيين على الساحلين الجنوبي والشرقي للجزيرة العربية ، لتبدأ خططها وتبحث عن مصادر تمويلها .

ومن اجتماعات في كنائس «نيو برونزويك» إلى أخرى ، إلى توزيع مهام وجمع تبرعات ودراسة مبادئ اللغة العربية ، انتهت كلها





جسر في البصرة

بقرار بدء التنفيذ وسفر المبشرين إلى المنطقة .

ففي البدء يسافر أحد مؤسسي الإرسالية وهو جيمس كانتين في منتصف شهر أكتوبر من عام ١٨٨٩م إلى سوريا ومنها إلى القاهرة ثم عدن لاختيار الأماكن المناسبة لبدء عمل الإرسالية ، ثم لحق به المبشر الآخر صموئيل زويمر الذي يزور جنوب اليمن . وخلال تلك الزيارات اختار مبشرو الإرسالية الإقامة في «بيروت» بلبنان لبضعة أشهر لجمع المعلومات ودراسة اللغة العربية والتدرب على استخدامها .

وانتهت دراسات «كانتين» و«زويمر» الميدانية ولقاءاتهما مع مبشري الكنائس الأوروبية الأخرى المنتشرة في بلاد الشام خصوصاً ،

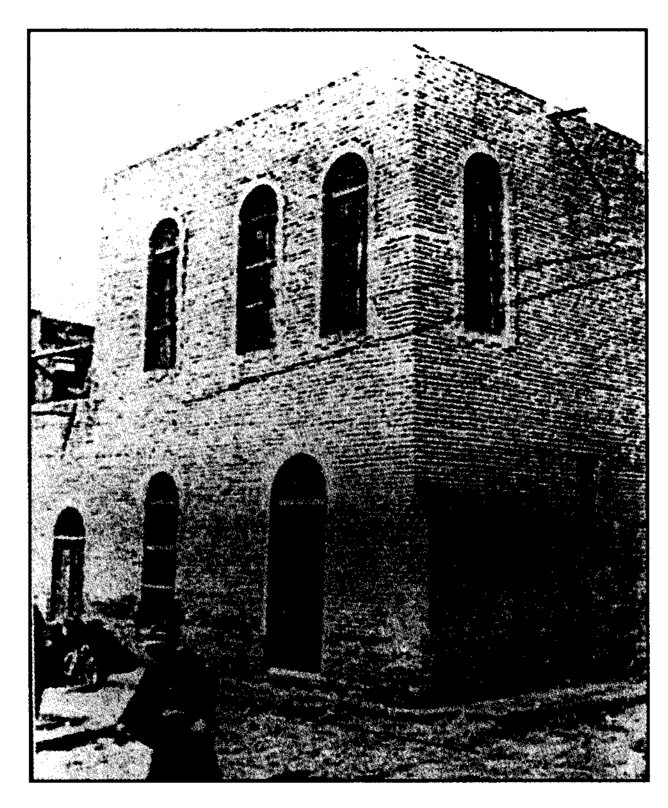
إلى اختيار مدينة البصرة بجنوب العراق كمركز رئيسي لأعمال الإرسالية في منطقة الخليج والجزيرة العربية وقاعدة لعملياتهم .

فبعد استقرار بسيط في العاصمة بغداد بدا لكانتين كما يقول الباحث الدكتور عبدالله ناصر السبيعي في بحثه حول نشاط الإرسالية الأمريكية ، بدا له «أن البصرة هي أفضل مكان يمكن أن تنطلق منه الإرسالية نحو تحقيق أهدافها التبشيرية ، وذلك لكثافة سكانها وسهولة الوصول إليها ، وموقعها الاستراتيجي الذي يميزها عن بقية الأماكن التي زارها خاصة وأنها قد تسهل مهمة النفاذ إلى عمق الجزيرة العربية ، ويتجلى ذلك من رسالة بعث بها كانتين إلى مقر الإرسالية يبرر فيها اختياره للبصرة بقوله : «يبدو أن هذا المكان (البصرة) هو الأنسب لفتح ثغرة نحو الهدف» .

وعلاوة على ذلك حصلت الإرسالية ومنذ الأيام الأولى على تعاون الإرساليات المسيحية الأخرى العاملة في العراق مثل «المجلس المسيحي للشرق الأوسط» و«جمعية الكنيسة التبشيرية» وغيرها .

ولم يكن اختيار مدينة البصرة ـ حسب رأي المؤرخ الكويتي الدكتور عبدالمالك التميمي في كتابه «التبشير في منطقة الخليج العربي» ـ قاعدة ومحطة أولى لعملياتهم أمراً اعتباطياً بل «أمراً مدروساً ، فقد كان موقع هذه المدينة يتمتع بأهمية استراتيجية في المنطقة كلها لأنها تسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي . وكانت الحكومة الأمريكية قد سبق لها أن أنشأت قنصلية هناك واستطاع





مكتبة التبشير في العمارة

المبشرون الأمريكيون أن يعيشوا ويعملوا تحت حمايتها . وقد كان في هذا عون كبير لهم خاصة في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطرة الدولة العثمانية ، وكان صموئيل زويمر وجيمس كانتين أول رائدين للعمل التبشيري في تلك المحطة ، ولهذا كانا أول من واجه ردود فعل المواطنين وقياداتهم الدينية بالإضافة إلى السلطات التركية» .

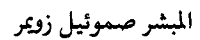
وقد بدأت نشاطات وفعاليات المبشرين الأمريكان في البصرة بالعمل مع أوائل عام ١٨٩١م . ففي تلك الأيام نشط المبشرون – والذين كان يرافقهم في معظم الأحيان موزعو كتب مسيحيون عرب من أهل الشام – في توزيع وبيع الكتب والكراريس مثل الإنجيل والكتاب المقدس وغيرها ، والدخول كذلك في نقاشات ساخنة مع أهالي البصرة حول المسيحية والإسلام .

غير أن تلك الأيام غير العادية بالنسبة للعراقيين وكذلك للمبشرين الأمريكان لاقت معارضة وعداء شديدين من جانب السلطات التركية التي كانت تحكم العراق . فكانت تفرض على أعضاء الإرسالية شروطاً قاسية للعمل وتصادر في كثير من الأحيان كتبهم وكراريسهم وتضطهد مبشريهم ، وأحياناً تعتقلهم وتغلق مكتباتهم ، كما كانت السلطات التركية تدخل في مواجهات سياسية متعددة مع الأمريكان عن طريق القنصليات .

وبالمقابل كان تمتع المبشرين بالجنسية الأمريكية مبرر تدخل حكومتهم وقنصلياتها في أغلب الأحيان وضغطها المستمر على الأتراك ، مما سهل الكثير من عمل مبشري الإرسالية الأمريكية في البصرة وجنوب العراق عموماً .

ورغم تلك الصعوبات إلا أن الإرسالية الأمريكية بدأت عملها بالتبشير ليس وسط البصرة وأهاليها فقط ، بل قام أعضاؤها بالكثير من الرحلات القصيرة والطويلة لمدن وقرى جنوب العراق تحديداً ،





المبشر صموئيل زويمر

كانوا يوزعون فيها الكتب ، ويفتحون المكتبات الصغيرة ويحاولون إقامة العلاقات مع الأهالي البسطاء .

وبجانب الرحلات والجولات قامت الإرسالية ببناء بعض الأبنية الضرورية مثل مدرسة البنات وإقامة مسكن قريب من المدرسة لسكن أعضاء الإرسالية ، ثم إنشاء مكتبة داخل أسوار مجمع مدرسة البنين بالعشار وسط مدينة البصرة .

واهتمت الإرسالية كذلك بالعمل الطبي كثيراً في البصرة . وقدم المبشرون خدمات طبية هدفها الأساس تبشيري لأهالي البصرة والقرى والمدن المجاورة ، وكان في البداية على شكل مستوصف صغير يديره طبيب واحد وممرضة .

ثم توسعت خدمات الإرسالية في جنوب العراق عندما حصلت على ترخيص بناء مستشفى هو مستشفى «لانسنج» التذكاري والذي

أقيم عام ١٩٠٩م .

وخارج التبشير والطب والرحلات استغلت الإرسالية الأمريكية أوضاع الجهل البائسة في جنوب العراق وانتشار الأمية في تنصير الأهالي عبر التعليم بعد فشلها في توزيع الكتب والطب .

ففي عام ١٩٠٨م سمحت السلطات التركية للمبشر مورديك بافتتاح أول مدرسة للإرسالية بالبصرة بعد جهود مضنية وتدخلات سياسية أيضاً .

وبدأت المدرسة بثلاثين تلميذاً ، وكانت معظم مناهجها باللغة العربية ، وسميت مدرسة الأولاد باسم مدرسة «الرجاء العالي» ، أما مدرسة البنات التي أنشئت فيما بعد فقد سميت مدرسة «الرجاء للبنات» . ومن الواضح أن أهداف المدرستين والتعليم عموماً عند مبشرى الإرسالية الأمريكية هو تنصير التلاميذ . فقد كان أحد الدروس اليومية للتلاميذ مثلاً هو قراءة الإنجيل وتفسيره ، كما أن النشيد اليومي للتلاميذ هو أدعية مسيحية خالصة!

وبعد حوالي أربع سنوات من استقرار عمل الإرسالية الأمريكية في البصرة ، انطلق مبشروها إلى المدن العراقية الكبيرة والصغيرة في الجنوب . ففي نهاية عام ١٨٩٥م بدأ العمل في مدينة العمارة ثم في مدينة الناصرية . وفي عام ١٨٩٧م افتتحوا مكتبة للكتاب المقدس في كلتا المدينتين .

وبجانب بعض مدن جنوب العراق تواجد أعضاء الإرسالية



الأمريكية في العاصمة بغداد ، غير أن ذلك التواجد لم يكن له نفس النشاط والخدمات والحماس مثل فرع البصرة . وقد يكون السبب الأهم في عدم اهتمام الإرسالية ببغداد ، رغم كونها العاصمة ، هو وجود إرساليات تبشيرية أوروبية وأمريكية أخرى في بغداد ولها تواجد كبير ، علاوة على أن الإرسالية كانت تعتمد على البصرة لأنها قاعدة انطلاق لجميع رحلاتها وأعمالها التبشيرية وخدماتها الطبية والتعليمية لجميع بلدان الخليج التي أسست فيها مراكز هامة فيما بعد مثل البحرين عام ١٨٩٢م .

كان هذا المشهد الغريب والمثير في مدن وقرى جنوب العراق تحديداً مع رجال يرتدون بدلات فاخرة وقبعات ويتجولون بكتب مسيحية وسط شوارع قذرة وبيوت متواضعة ، كان هذا المشهد هو بداية صراع حضاري متعدد الجوانب ومتنوع القوى مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في العراق .

فقد شهد العراق ومنطقة الخليج والجزيرة العربية تحدياً حضارياً كبيراً لم تألفه من قبل ، وصراعاً فكرياً ودينياً وثقافياً واجتماعياً خطيراً بين مبشرين أطباء خريجي أعرق الجامعات الأمريكية ، تقف من ورائهم مؤسسات دينية تدعمهم مادياً ومعنوياً ، وبين شعوب بسيطة لم يكن معظمهم يعرفون حتى القراءة والكتابة ، لكنهم كانوا يقدسون معتقداتهم الدينية ويعيشون في تواضع لا يعرف ضجيج الآلات الحديثة التي راحت تغزو أوروبا وأمريكا آنذاك .

ورغم عدم التكافؤ في هذا الصراع إلا أن التبشير وجد مقاومة كبيرة غير متوقعة وبأساليب بسيطة ، ولذلك عانت الإرسالية الأمريكية ـ برغم تظاهرها بالنجاح ـ من صعوبات كبيرة وهائلة كتب عنها أحد المبشرين قائلاً : «من أشق المهام وأكثرها صعوبة الانخراط في أعمال التبشير ، خاصة إذا ما كانت تجري وسط جمهور ، ليس فقط لا يدرك ما تبشر به ، ولكنه يعلم ويؤمن بنقيض ما تبشر به . أما إذا كان المبشرون أغراباً وافدين من بلاد أخرى بعيدة ليست لها صلة ولا رابط فالمشكلة أكبر والمشقة أكثر تعقيداً وريبة وحذراً» .

وفي صفحات هذا الكتاب يجد القارئ بعض حكايات قديمة عن العراق تناثرت بين نهري دجلة والفرات معظمها صار له في ذمة الروزنامة أكثر من مائة عام .

لكن هذه الحكايات التي قمت بإعدادها وترجمتها من اللغة الانكليزية من نصوصها الأصلية ـ مع بعض التعديلات والصياغة ـ والتي نشرتها المجلة الدورية للإرسالية الأمريكية «الجزيرة العربية المنسية» (Neglected Arabia) ، كانت في الأصل مجرد تقارير وانطباعات كتبها المبشرون عن أعمالهم وأنشطتهم ورحلاتهم ، وأيضاً عن مغامراتهم والحوادث التي جرت لهم في العراق عموماً في الفترة بين عامي ١٩٠٠ - ١٩٣٥م .

ولا تكشف أهمية هذه الحكايات كونها تصور الحياة في بعض المدن والقرى العراقية وظروف المعيشة وطبائع الناس وجغرافية المدن



ووسائل المواصلات آنذاك فقط ، بل إنها أيضاً تتحدث عن بعض العادات الاجتماعية في بداية القرن العشرين ، وتروى مدى تمسك العراقيين بدينهم ورفضهم للمحاولات التبشيرية المحمومة لتنصيرهم والتحول عن دينهم .

***

من فرق تبشير أمريكية لا تملك سوى حماس نشر الديانة المسيحية والحضارة الغربية وسط بسطاء العراق عبر أدوات مثل كتب الإنجيل ومشارط الطب وطباشير التعليم ، تغير «الغزاة» بعد عشرات السنين إلى غزاة آخرين من نفس البلاد اليوم جاءوا بجيوش جرارة (لتحرير) العراقيين من «الديكتاتورية» ونشر «الحرية» .

من فرق التبشير إلى غزاة الجيوش المتطورة مضت الآن أكثر من مائة عام بين غزو وغزو ، بين تبشير بديانة إلى غزو عسكري يمتلك كل التكنولوجيا والقوة والمال .

وبين تلك «الغزوات» جرت في مياه أنهار العراق حوادث كثيرة وانقلابات لا تحصى وتواريخ لا تعد ، وبين تلك «الغزوات» أيضاً تناثرت حكايات ومغامرات ومواجهات ، والكثير من الثرثرة فوق دجلة .

**خالد البسام**

**البحرين**

المبشران «فرد بارني» و«شارون توماس» يرويان عن البصرة وبغداد عام ١٩٠٠م:

# لا مفر من صيف العراق!

**بجانب أعمال الطب اشتغل عضوا الإرسالية الأمريكية في العراق المبشر «فرد بارني» والمبشر «شارون توماس» في أعمال التبشير في مدن العراق المختلفة منذ نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين .**

**وفي شهر أبريل عام ١٩٠٠م كتب المبشران تقريراً عن أعمال التبشير والطب في مدينتي البصرة وبغداد وبعض المدن الأخرى . وفي البداية كتب المبشر « بارني » يقول :**

بينما أكتب الآن ، هناك إزعاج شديد فوق رأسي حيث تمر الأقدام وهي تقرع وتكسر بالمجارف في مبنى الإرسالية . وهذه الأعمال سببها عمال ينقلون ألواح القرميد من الأرض إلى السقف تمهيداً لإصلاح بعض الدعامات المكسورة ، مع أن الوعود كانت منذ عام مضى بأن هذه الأعمال سوف تكتمل .

لقد كانت هذه تجربة لنا في الصبر ، وخاصة في الشهور القليلة الماضية بالنسبة للإرسالية التي ذهبنا إلى صاحب الأرض عدة مرات في الأسبوع لاستعجاله في البناء . ولكننا حصلنا على أعذار على نحو قياسي بخصوص الفشل في الإيفاء بتعهداته نحو المستقبل .

وبعض الإصلاحات التي نقوم بها في إرسالية البصرة بالعراق هي من أجل راحتنا كمبشرين وأطباء ، وبعضها الآخر نقوم به من أجل سلامة أمننا هنا .



منظر من البصرة

وبناء الإرسالية الذي نسكنه الآن هو مبنى قديم جداً ، لكننا نأمل مع الانتهاء من الإصلاحات الحالية أن نقوم بالمزيد من الإصلاحات قريباً .

ومنذ حوالي أربعة شهور مضت كانت هناك بدايات للعمل في وسط النساء في البصرة ، وقد كانت النتائج لذلك العمل مشجعة جداً .

فقد قامت «حنان» ، وهي والدة بائع الكتب المسيحية المتجول «ميشا» والسيدة الورعة ، قامت بزيارة إلى بيوت العديد من النساء في البصرة مؤخراً .



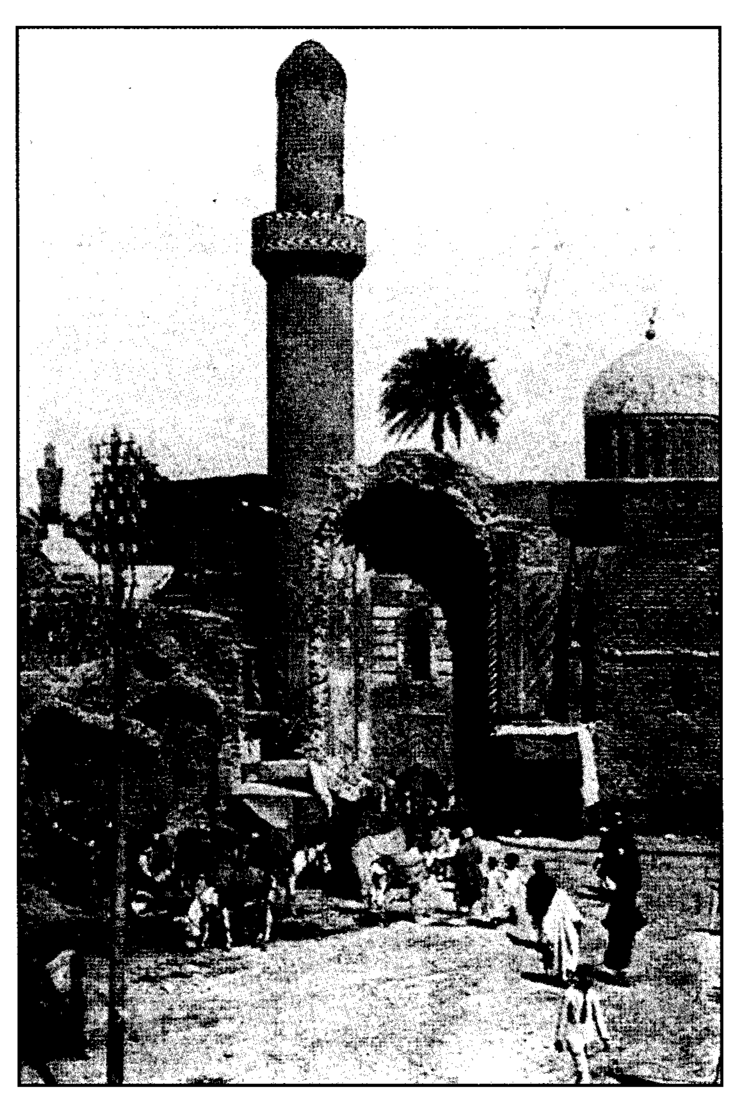


جسر في البصرة

وواصلت «حنان» عملها هذا بكل نشاط حتى الأسابيع القليلة الماضية عندما اضطرت إلى التوقف لحاجاتها لرعاية إحدى قريباتها المريضة .

وعلى العموم فقد وجدت حنان ثلاث درجات يمكن إن يجدها أي ناشط في هذا الموضوع وفي كل مكان وهي أن الناس إما عدائيون أو غير مبالين أو مرحبين بوجودها .

ولعل المستقبل المرْضي المفرح لتلك المحاولات هي أن عدد الطبقات المرحبة نسبياً يكبر ويكبر بصورة لم نتوقعها وهذا يظهر لنا أيضاً بأن الباب لدخول رسالة المسيح أصبحت مفتوحة على



منظر من بغداد

مصراعيها .

وكم يبدو العمل بين النساء غريباً عند الناس هنا ، فكم مرة قدم البعض لحنان بعض المال بعد مناقشة وقراءة الكتاب المقدس ، متصورين أنها تقوم بهذا العمل من أجل الحصول على مقابل مادي! هؤلاء الناس الفقراء الطيبون لا يعرفون بالطبع أي شيء عن سعادة أرواحهم وخيرها ، ولم يكونوا يدركون كيف تأتي امرأة إليهم وتتحدث عن الله وكتابه المقدس ، فلقد ظن المساكين أن هذه المرأة لا يمكن تأتي إليهم الا مقابل المال فقط .

فهم لم يتعلموا حتى الآن بأن الكتاب المقدس هو بالمجان يمكن ان يحصلوا عليه . وإننا نعطيهم إياه لكي نثبت لهم ولأنفسنا كم هو شيء «بدون مال وبدون ثمن» .

ولعل هذه البداية أثبتت لنا درساً هاماً وواضحاً وهو أن هناك في البصرة ساحة جيدة بخصوص العمل بين النساء ، وكسب تأييدهن .

وخلال هذه الفترة قمنا بالعديد من الجولات خارج مدينة البصرة والعراق . وقد كانت الجولة الأولى هي للكويت التي يشاع بأنها ستكون المحطة الأولى لخط حديدي جديد . وقد قام بزيارة الكويت كل من مساعد المستوصف وموزع الكتب .

وأظهرت هذه الرحلة للكويت عدة أشياء هامة تتعلق بهذا البلد منها أن الكويت وخاصة بالنسبة لبائع الكتب لن يوجد مستقبل باهر فيها بسبب الأمية العالية . ولكن الأطباء يستطيعون العمل هنا

رغم مضايقة الناس لهم بأنهم مشركون ، كما أن الأطباء يستطيعون الذهاب إلى نجد عبرها وإلى أبعد مكان يريدونه في الجزيرة العربية .

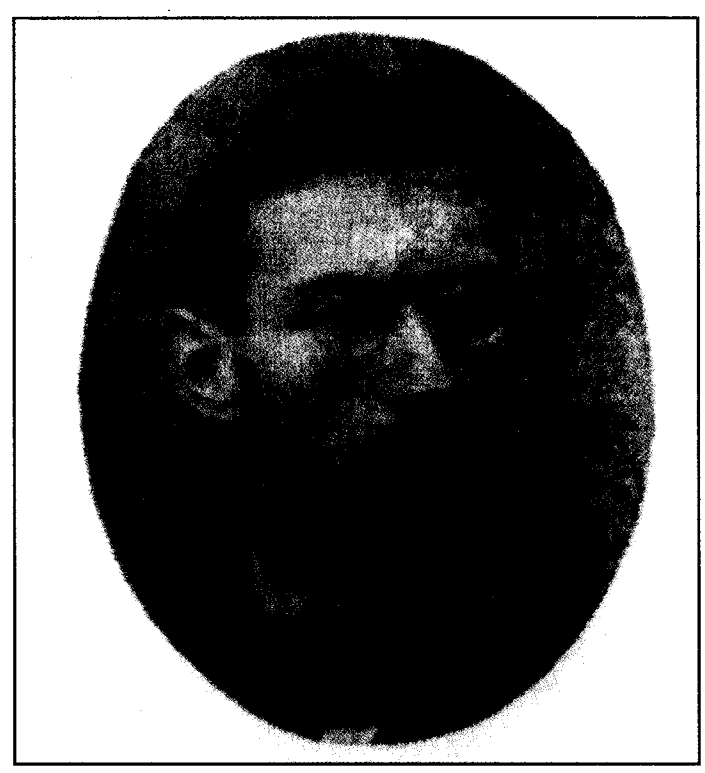
أما المكان الثاني الذي قمنا بزيارته فكان مدينة الناصرية وذلك عبر نهري دجلة والفرات ، وفي هذه الجولة حقق موزع الكتب يعقوب فيها نجاحاً جيداً ، فقد استطاع في هذه الجولة بيع عدد كبير من الكتاب المقدس ، والأهم خاصة هو ما حاوله عبر بيع الكتب زرع بذور المسيحية في المنطقة لتنتج الثمار في المستقبل .

وفي أماكن أخرى أيضاً كان موزع الكتب يجري مع الناس أحاديث شيقة حول المسيح عيسى ، وخلال الأسابيع القليلة الماضية فإن الجولات التي قمنا بها لمدن مثل الزبير وأبوخصيب حققت نتائج ممتازة ونجاحاً جيداً في التبشير وعرض أفكارنا .

غير أن المدن السابقة روي عنها في تقارير أخرى حكايات سيئة عن التعصب بين أهلها وكان من المستحيل الدخول إلى بعضها أصلاً . لكنني أستطيع أن أقول بأنه حتى ولو كانت تلك المدن صعبة ومتعصبة ، فإنني واثق من أنها ستبقى مفتوحة لمبشرينا ولموزعي كتبنا .

إن الجو الحار في العراق على وشك أن يبدأ ، وهذا يعرض الرحالة إلى خطر كبير على الصحة ، ولكن مع برودة الجو فإننا نأمل في دفع عملنا مرة أخرى .





المبشر الأمريكي «بارني»

**ويكتب المبشر «شارون توماس» عن بغداد عام ١٩٠٠م قائلاً :**

في بداية هذه الموسم ذهبنا إلى بغداد للتغيير وحصلنا على فوائد كثيرة من هذه الرحلة خاصة لزوجتي السيدة توماس ، بجانب بعض الأفكار الجديدة للعمل كسبناها من رؤيتنا للعمل الطبي الممتاز المقام هنا في إرسالية بغداد .

فلدى الإرسالية هنا مستوصفان وطبيبان مؤهلان ، وأحد الطبيبين يعمل في بغداد منذ أربع عشرة سنة ، وهو بالتالي لديه خبرة في مساعدة الناس هنا .

وأثناء وجودنا في بغداد قمنا برحلة مع الدكتور ستروك حيث زرنا بقايا آثار مدينة بابل القديمة ، وقد استمتعنا بتلك الرحلة كثيراً بالرغم من عدم وجود أشياء كثيرة يمكن مشاهدتها ، لكن هل يمكن تخيل شعوري وأنا أقف فوق معبد «بعل» وهو أحد الآلهة عند الكنعانيين والفنيقيين . ووسط دمار المدينة الفارسية العتيقة فإنه لا يمكن مشاهدة أي شيء سوى بقايا الأساسيات المتهدمة للجدران والشوارع .

وقد سمعت أن الحكومة الألمانية قامت مؤخراً بعمليات حفر واستكشاف في بابل .

وطبعاً فلا مفر من الصيف في العراق فهو على وشك أن يبدأ بدرجة حرارة مقدارها ١٠٤ فرنهيت تحت الظل . وفي الشهر القادم ستكون الحرارة على الأرجح بمعدل ١١٢ فرنهيت درجة تقريباً . والجميع في مدينة البصرة سيكونون بخير ، باستثناء «لسعات الحر» اللاهبة التي جعلت الأطفال من الآن يعانون من الحر .

وبخصوص مستوصف الإرسالية في البصرة ، فقد بدأ المرضى في التوافد على المستوصف كل صباح بعد شروق الشمس بفترة قصيرة ، وفي الأسبوع الماضي قمت بمعالجة حوالي ٢٠٠ مريض .





وأظن أن عدد المرضى هذا الأسبوع سيحافظون على نفس تلك الأرقام .

وفي النهاية فإنني أتمنى أن أخبركم عن بعض هؤلاء المرضى في المستقبل .

المبشر الأمريكي «هاري وريزم» يتجول في جنوب العراق عام ١٩٠١م:

# العراقيون يمزقون كتب التبشير!

**في بداية عام ١٩٠١م قام المبشر الأمريكي «هاري وريزم» برحلة في مدن وقرى جنوب العراق مستخدماً مركباً بخارياً تجول به في نهر دجلة الشهير .**

**وعن تلك الرحلة وحكاياتها كتب المبشر «هاري وريزم» يقول في مجلة الإرسالية الأمريكية :**

بين واحد من المركبين الإنكليزيين النهريين ركبت المركب البخاري الذي يطوف نهري دجلة والفرات واتخذت طريقي عبره في رحلة بجنوب العراق .

لقد تركت كوت العمارة حيث بدأت الرحلة . والواقع أنه يجب عليّ أن أكتب عن الكثير من الأشياء المهمة التي رأيتها على سواحل دجلة وخاصة عن طلاب الكتاب المقدس في مكان يدعى «عزير» وهو موقع من المفروض أن تكون موجودة فيه بقايا أحد الأنبياء ، وهنا ترى قطعاناً من الغنم هنا وهناك ترعاها راعيات غنم لسن سوى فتيات صغيرات .

عندما وصلنا إلى العمارة أصبحنا على اتصال لأول مرة مع الموظفين الأتراك ، وذلك بسبب أن كل شيء يجب أن يمر على مبنى الجمارك حيث يلزم علينا إحالة كتبنا إلى المدققين في الجمارك . وكانت النتيجة أن تسعة من الكتب المقدسة تم احتجازها في الجمارك .

لقد كان اعتراض الموظف واضحاً وهو أنه إذا أردنا الحصول على

الكتب فيجب علينا دفع بقشيش من النقود . ولكنني أملاً في أن هذه الكتب ستقرأ إما من الموظف التركي نفسه أو من قبل أصدقائه ، سمحت له بالاحتفاظ بها ولم أعطه أي بقشيش!

وبعد ذلك ذهبنا إلى نزل صغير يستطيع استيعابنا في هذه الفترة . غير أن الصناديق القليلة المملوءة بأغراضنا وثيابنا وكتبنا لم تصل إلا بعد بدء الزوار في زيارتنا والحديث معنا .

قيل وقتها أن أجنبياً قد وصل إلى المدينة ، ولذلك فإن الناس تريد أن تعرف عن أسباب مجيئة وأهدافه . لذلك قام موزع الكتب عندنا «ميشا» بفتح صندوق الكتب وإطلاع الناس على الإنجيل والكراريس المسيحية .

وتدريجياً فإن الناس أصبحوا أكثر جراءة ، بعدما كان العرب في الماضي يخشون من الأوروبيين ، خاصة بعد أن صار المتعلمون منهم يستطيعون القراءة والإطلاع .

ولعل هذا ما فتح طريق الاعتراضات علينا . وخلال بضع ساعات جلس الكثير من العرب في الأرض العارية بينما جلست أنا فوق الصندوق .

وقد تمت الترجمة بيننا وبين العرب بواسطة موظفين أتراك جاءوا لمعرفة ما إذا كانت جوازاتنا تحتوي على إقامة في العراق أم لا .

وبكثير من الصبر تحملنا تدقيق الموظفين الأتراك المتواصل مدركين في الوقت نفسه بأنهم جاءوا إلينا لبحث أية حجة ضدنا لطردنا من





البصرة عام ١٩٠١

العراق .

ترتبط المنطقة الواقعة بين كوت العمارة على دجلة والناصرية على نهر الفرات بمجرى من الماء صالح للملاحة في موسم المد .

وبعد تأخير معتاد من قبل العرب غادرنا كوت العمارة في قارب صغير يدعى «بيلم» بينما وقف العشرات من الرجال والنساء والأطفال يطالعوننا ونحن نغادر المدينة .

لقد كانت المدينة الأولى التي وصلناها صغيرة ومتواضعة ونزلنا في أحد الخانات .

وفي الصباح الباكر استيقظت على صيحات وصراخ يصدران من الأسفل ، وعندما نظرت من النافذة رأيت مشهد علم شرقي أصابني بالقشعريرة .

ومن المؤكد أنه لا يمكن القيام بأشياء كثيرة بالنسبة لمدينة

مضطربة جداً ، لكننا قد غامرنا . وحيث أن «ميشا» موزع الكتب لم يلق معاملة طيبة ، فقد قام الناس في أحد المرات بأخذها من يده وتمزيق الكتب وبعثرتها في الشارع ، وفي النهاية استطاع «ميشا» في هدوء التقاط الأوراق الواحدة بعد الأخرى وتجميعها .

وفي العصر زارنا مجموعة قليلة من العرب في الخان الذي نسكن فيه .

ورغم تلك الزيارات ومحاولات التبشير هنا وهناك ، إلا أنه مع ذلك فإن القليل يمكن إنجازه في هذه المدينة الصغيرة ولهذا السبب فقد غادرناها في اليوم التالي إلى مدينة أخرى تدعى «كالا» .

ولكون المدينة صغيرة هي الأخرى ، فقد قررنا أن لا نبقى فيها سوى وقت قصير . وجلسنا في بيت عبدالله المسيحي الكلداني . وقد جرت مناقشات طيبة حول الأمور الدينية وأقمنا الصلوات أيضاً في نفس البيت ، والمسيحي عبدالله يقف هنا وحيداً في هذه المدينة المسلمة .

وبعد أن ركبنا القارب الصغير وتم توديعنا غادرنا المدينة ورافقنا عبدالله في رحلتنا إلى «الشطرة» التي وصلناها في اليوم التالي .

وأثناء سيرنا لاحظت بعض الأشياء في الريف العراقي . فالأرض كلها وهبت لزراعة القمح ولقطعان المراعي . كذلك ترى الصبيان الرعاة يُلهون أنفسهم باللعب ببعض الآلات الموسيقية .

وفي الليل فإن الهواء يتخلله عواء كريه لابن آوى الذي كان





يقترب جداً كلما اقتربنا من الساحل . كانت قطعان الأغنام تأتي مرتين في اليوم إلى حافة النهر لكي تشرب ، وبينما كنا نسير عبر النهر رأيت بعض الأغنام منحشرة في الطين حيث لم تتمكن من الوصول إلى الحافة . وكم كانت الأغنام بائسة في صياحها ، ولكن كم كان الصِّبية الرعاة سريعين في إنقاذها!

لقد وصلنا إلى «الشطرة» بعد فترة من غروب الشمس ، وكالعادة حصلنا على مكان نأوى فيه في النزل الموجود . وهذه المدينة كبيرة في حجمها ولذلك بقينا فيها أربعة أيام . وبسرعة أقمنا صداقات مع الذين جرت معهم مناقشات طيبة في غرفتي في النزل أو في المقهى .

وقام «ميشا» بمجهودات كبيرة بعرض كتبه للبيع لكنها تعرضت للهجوم مثل المدينة السابقة . فقد قام الناس بحذفها وتمزيقها ورميها في الهواء .

ولكن مرة أخرى استطاع بصبره وإخلاصه الشرقي جمع أوراق الكتب بعد ذلك حتى استطاع ترتيب صفحاتها ، وبينما كان يجمع الكتب تحولت الريح إلى صالحه ، وعندها قام رجل جرئ من بين العرب وأخذ الكتاب المقدس وبدأ يقرأه ، وشجع تصرف هذا العربي غيره من العرب ، ورغم ذلك فإنه تم دعوة العرب بالمدينة إلى تحريم قراءة كتب الإنجيل التي يوزعها «ميشا» ، وإن كانوا قد عاملوه معاملة ألطف هذه المرة .

وبين هؤلاء كان هناك رجل لم تكن لديه الشجاعة لشراء الإنجيل



مسجد عند مدخل البصرة

علناً ، فقد جاء هذا الرجل إلى غرفتي في النزل في ساعة متأخرة من الليل ، وبعد قراءة وأحاديث لبعض الوقت قام وأخذ نسختين من الأنجيل معه .

في اليوم التالي وكان يوم الأحد لم يتم بيع أي نسخ من الإنجيل .

لكن جاء حوالي أربعين شخصاً لشراء الإنجيل في نفس اليوم إلا أنهم أجلوا ذلك حتى الغد ، وفي اليوم التالي جاءوا بأعداد أكبر .

لقد أشفق المبشر على هؤلاء العرب الذين جاءوا للتعرف على المسيح ، فقد جلس الجميع القرفصاء وأسندوا ظهورهم على الجدار ، وتجمعت أحذيتهم البالية في أكوام أمام مدخل إقامتنا ، وكل واحد



منهم كان يقرأ بصوت عالٍ في نفس الوقت . كما أن الكثير من الموظفين الأتراك والجنود جاءوا إلينا أيضاً وبعضهم غادروا المكان وهم يخفون الإنجيل تحت ثيابهم حتى لا يكتشفهم الملالي في الخارج .

وبينما كنت في المقهى واجهني أحد العرب بقوله : لماذا تأتون إلى هنا ومعكم كتبكم؟ نحن لا نريدها . لكن محاولاتكم المستمرة هي تشبه من يحاول سحب حجر البئر بواسطة الحبل!

وقد شعرت من هذا الكلام أن قلوب المسلمين ليست سهلة لفتحها أو إقناعها .

وكنا نود البقاء مدة أطول في مدينة الشطرة ، ولكننا آثرنا الرحيل . وبدأنا المغادرة متجهين إلى الناصرية .

وفي طريقنا إلى الناصرية فوجئنا بوابل من المطر ينهمر فوق رؤوسنا بينما نحن في شهر مارس ، ولكننا استطعنا الحصول على ملجأ يقينا من المطر في جانب الطريق وكان هذا الملجأ هو كوخ لأحد العرب ، ونمنا ليلة في سفينة «البيلم» الذي كان يتسع لنوم ستة أشخاص بالكاد . وهذا العدد كان يشمل البحارة الثلاثة و«ميشا» موزع الكتب وعبدعلي خادمي ، وأنا . وبعد رحلة مثيرة وصلنا سالمين إلى الناصرية .

ومع الأسف كان وصولنا إلى الناصرية يعني نهاية كل حركة ونشاط في أجسادنا أو ما تبقى منها في الرحلة فقد أنهكنا التعب والجوع تماماً .

فبسبب شوقنا الشديد للطعام والشراب الخاص بنا والذي افتقدناه طوال أسبوعين من الرحلة ، بسبب ذلك لم أطق صبراً وقمت باستعجال طبخ الطعام . وحدث أن سقط قدران وهما يغليان فوق رجلي ، وأصابني ذلك بحروق وحمى أقعدتني في سريري لفترة .

وفي النهاية غادرنا الناصرية بسرعة نوعاً ما ربما بسبب مرضى ، وبعد خمسة أيام وصلنا إلى البصرة أخيراً .

كان حساب الرحلة باختصار هو ثلاثة أسابيع استغرقت لياليها مسافة ألف ميل!



## المبشر الأمريكي «إف. بارني» يروي حكايات التبشير عام ١٩٠١م:

# كتب ممزقة.. وحوادث خطرة!

**قاد المبشر الأمريكي «إف . جي . بارني» فرق تبشير متعددة في العراق أوائل القرن العشرين .**

**ويروي المبشر «بارني» في تقرير كتبه لمجلة الإرسالية الأمريكية «الجزيرة المنسية» فصولاً من حكايات باعة الكتب ببعض المدن العراقية في شهر أكتوبر عام ١٩٠١م حيث يقول :**

لأول مرة أتخلى عن دور الراوي في هذا التقرير عن حملات التبشير المسيحي في العراق . فسأقوم في السطور التالية بترك باعة وموزعي الكتب المسيحية بالحديث عن حكاياتهم وتجاربهم في المدن والقرى .

لكن قبل أن أترك المهمة لموزعي الكتب لابد أن أؤكد على أن الشهور الثلاثة الماضية كانت حافلة بالإنجاز . وساعدنا الطقس على أن تكون معظم أعمالنا التبشيرية ناجحة .

ويمكنني القول أن بيع الكتاب المقدس كان جيداً . وقد قمت مؤخراً بجرد مرتجعات هذا العام . ووجدت أن العدد الإجمالي لبيع الكتاب كان ١٧٤٠ نسخة ، وهي تزيد بنسبة ١٧ في المائة عن السنة الماضية ، وتزيد بنسبة ٤٤ في المائة عن السنتين الماضيتين .

ومن المؤكد أن هذا النجاح يقتضي منا الإقرار بفضل الله علينا ، خاصة إذا أدركنا الظروف الكثيرة المشاكسة التي سادت هنا خلال العام .

يقول موزع الكتب المسيحية يعقوب عن عمله التبشيري في مدينة العمارة التي مكث فيها لمدة خمسة شهور :

«لقد كنت أفتتح مكتبة بيع الكتب في المدينة يومياً . وخلال بقائي في المكتبة وجدت أن أكثر سكان المدينة يأتون إلينا للزيارة . ولم أجد أية معارضة لعملنا باستثناء الأيام القليلة الأخيرة عندما اعتبر بعض الناس أن الشجار الذي وقع بين إنكليزي وتركي حول الكويت شيء يخص الإرسالية والتبشير . ولذلك حاول بعض الأهالي مضايقتي اعتقاداً منهم بأن مكتبتنا لديها علاقة خاصة مع هذا الإنكليزي .

ولم تؤثر هذه الحادثة الصغيرة في عملنا بالعمارة على الإطلاق ، بل كان الكثير من الناس يأتون إلى المكتبة ويجرون مناقشات وأحاديث دينية مختلفة .

وهناك بعض الرجال من أهالي المدينة منحوني الأمل في تحقيق آمال ، وأعطوني الحرية في الكلام بكل بصراحة وقول الصدق حول ديننا المسيحي .

وفي بعض الأحيان كان الكثير من الناس يأتون إلى مكتبتنا التي لم تكن تتسع لهم أحياناً .

وعادة فالمسلمون يعترفون بأن هناك حاجة للإصلاح في بلادهم وليس في المسائل الاقتصادية فحسب ، ولكن على الأخص في القضايا الدينية .



فبعضهم يقولون أنهم يودون أن يصبحوا مسيحيون ولكن الوقت الآن غير ملائم وليست هناك حرية!

وفي بعض الأوقات كنت أغلق المكتبة وأذهب إلى مناطق قريبة من العمارة لبيع الكتب المسيحية ، وفي الواقع كنت أريد عملياً الذهاب إلى بعض الأماكن الجديدة لاكتشافها بالنسبة لعملنا ، ولكن كانت تواجهني دائماً قلاقل ومشاكل على الطرق وفي تلك المناطق أيضاً .

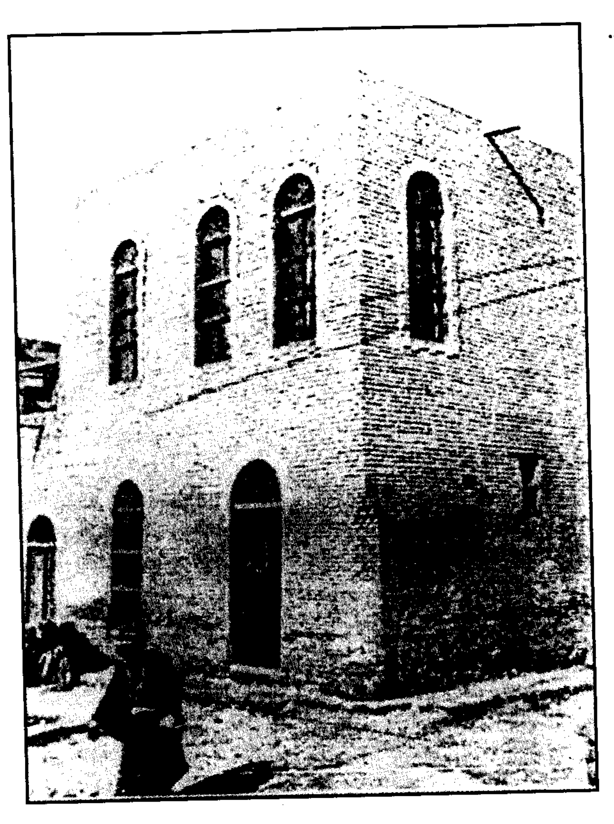
ورغم ذلك فقد أرسلت مجموعة من الكتب مع أصدقاء هناك حيث قاموا ببيعها على الناس» .

أما بائع الكتب «ميشا» الذي ظل في الناصرية لمدة أربعة شهور فقد كتب يقول :

«عندما وصلت لأول مرة إلى هذا المكان أمرني رجل الشرطة بعدم فتح الدكان في المدينة إلا إذا كانت عندي رخصة من السلطات في البصرة ، والتي لم أكن أملكها .

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى مجلس بلدية المدينة ، وهناك رآني رجل الشرطة ، وأبلغني بأنني أستطيع أن أفتح الدكان حتى أتلقى منه أوامر جديدة .

وهكذا ذهبت وفتحت الدكان في الحال ، وبعد تنظيف الدكان ونفض الغبار عنه وتنظيمه قمت ببيع بعض الكتب اليهودية من النوع الذي يحتاجه الأولاد اليهود لمدارسهم .



مكتبة التبشير في العمارة

وكلها أيام حتى راح سكان المدينة يأتون إلى الدكان . وكان الكثير منهم من صغار الشرطة والموظفين الأتراك .

ولعل سبب وجود هذه الكثرة من الأتراك الرسميين هنا يرجع إلى أهمية الناصرية بالنسبة لهم . ففي أطراف المدينة هناك بعض المواقع العصرية ، كما أنها تعتبر من البوابات الهامة المؤدية إلى بلاد نجد . ولا





يمكن أيضاً نسيان موقعها التجاري الهام .

وهكذا فجميع الزوار لدكان الكتب يسألون عن كتب تركية مختلفة ، وكنت أعرض عليهم «الإنجيل» ، لكن معظمهم يطالعونه أو يتصفحونه فقط .

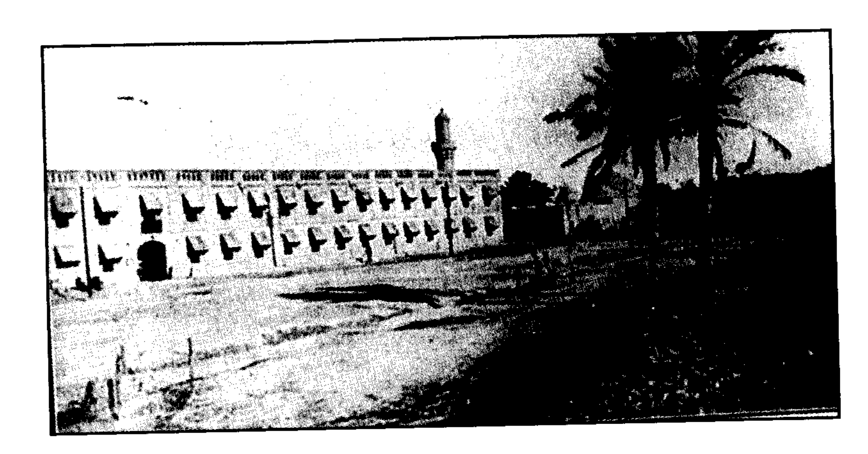
ومع ذلك فقد وجدت هذه فرصة جيدة للدعاية والتبشير عن المسيحية .

وبعد مضي شهر واحد تقريباً على افتتاح الدكان ، جاء الشرطي السابق نفسه . وبعد أن أخذ مجموعة كتب أمرني بإغلاق الدكان .

وبعد محاولات عديدة من قبل القنصلية الأمريكية في البصرة استطعنا بجهد بالغ استرجاع مجموعة الكتب المصادرة في الدكان المغلق .

وبعد تلك الأحداث ذهبت إلى إحدى القرى المجاورة وقمت ببيع بعض النسخ ، وبينما كنت ذاهباً نحو السوق ناداني أحدهم وطلب مني الحديث حول إيماني بالمسيحية وكيف أنني أصبحت مسيحياً . وبالطبع قمت بالدفاع عن معتقداتي مع إبداء الحجج والأسباب والتي كان عرضها مقبولاً بالنسبة للرجل بينما رفض بعضها ، لكنه وعد بطلب لقائي مرة أخرى .

وفي اليوم التالي التقاني موظف تركي حكومي وطلب مني الذهاب إلى بيت قال إنه مكان يجتمع فيه عادة بعض الرجال في معظم الليالي ، ويناقشون المسائل الدينية .



منظر لمدينة الناصرية

كان البيت الذي قصدته بحماس به غرف واسعة ، وهو ملك لأحد التجار الأثرياء في المدينة ، وكان الرجال يأتون إلى البيت ويشربون القهوة ويتحدثون في الأغلب حول أمور الدين .

وفي تلك الليلة حضر اللقاء حوالي خمسة وعشرين شخصاً ، وكانت المناقشات كلها حول المسائل الدينية ، وتحدثت أمام هذا التجمع بكل صراحة حول المسيح ومهمته ورمزيته ، وقد أصغى الجميع إلى كلامي بكل دقة وانتباه .

وكان وسط هؤلاء الرجال شخص واحد وجدت به كل الصدق ، وكان مستعداً للالتحاق بالكنيسة والتنصر ، ولم أر في رغبته أي شيء يمنع القيام بتلك الخطوة .

وفي الواقع فقد كنت مسروراً لوجودي في ذلك التجمع ، ولهذا بقيت معهم لأكثر من ثلاث ساعات ، وعندما أبديت رغبتي في



الرحيل قام صاحب البيت بشكري وطلب مني قبول دعوته لي في كل مرة تتم فيها مثل هذه اللقاءات .

ومن هذا البيت انتقلت إلى مدينة أخرى كانت في الواقع فظة ومزعجة ، وأهلها كانوا لا يحترمون الغرباء على الإطلاق . بل إنها كانت أقل تحضراً من المدن الأخرى ، حتي أنني طردت منها والناس تقذفني بالحجارة ، ولم يكن أمامي طبعاً سوى العودة إلى الناصرية» .

بقيت عندي حكاية واحدة سأرويها لكم .

في إحدى المدن قمت ببيع نسخ من الإنجيل إلى جندي تركي ، غير أن هذا الجندي عاد بعد فترة وأراد إعادته . وعندما رفضت السماح بذلك ، ذهب وأحضر عدداً من رفاقه الجنود .

وفي وقت قصير حاصرني الجنود في وسط السوق . وكان عددهم خمسة عشر جندياً ، وأيقنت أنهم كانوا مستعدين لضربي .

وفي تلك اللحظات الحرجة والخطرة وصل راهب فجأة إلى المكان ، ففي البداية قام الراهب ـ وهو قادم من البحرين ـ بمحاولة إقناعهم بفك الحصار عني ، ثم التمس منهم عدم ضربي أو إيقاع أي ضرر بي . ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك ، ففكوا الحصار لكنهم قاموا في الحال بتمزيق الإنجيل وغادروا المكان .

هذا حادث واحد من عدة حوادث خطرة تقع لنا في الطرقات وشوارع المدن العراقية . غير إنني أستطيع التأكيد أن بعضها يشكل صعوبات لنا ، وبعضها الآخر يعطينا الحافز والتشجيع .

## المبشرة الأمريكية «وورال» في مستوصف البصرة عام ١٩٠٣م:

# نساء جاهلات.. ومزعجات!

**كـانت المبـشـرة السـيـدة «وورال» هي أهم وأشـهـر شخصيات الإرسالية الأمريكية النسائية في البصرة خلال العقود الأولى من القرن العشرين .**

**وعلاوة على اشتغالها بالتبشير المسيحي وسط العراقيين إلا أنها عملت في مساعدة زوجها الطبيب وورال وفي إدارة مستوصف البصرة وغيرها من الأعمال الهامة .**

**وفي شهر أكتوبر عام ١٩٠٣م كتبت المبشرة «وورال» تقريراً عن مستوصف البصرة وحكاياته ومشكلاته لمجلة الإرسالية ، كتبت تقول :**

أود أن أقول في البداية أنني أقوم شخصياً بمهمة المساعد الوحيد لزوجي الدكتور «وورال» في إدارة ورعاية النساء في الفترات القليلة التي يعترض بعضهن فيها على وجود طبيب من الرجال .

هناك بعض حالات في المستوصف لا يستطيع فيها الأغنياء دفع أجور المستوصف ، فيقومون بدفعها لاحقاً .

والدكتور وورال يكون مسروراً جداً عندما يستطيع بهذه الطريقة ممارسة العمل بالمستوصف .

ففي السنة الماضية على سبيل المثال فإن نسبة كبيرة من تكاليف الأدوية قد تم دفعها من الرسوم الطبية بالبصرة .

وفي مقابل ذلك فإن جميع المرضى الفقراء يعالجون مجاناً هنا في المستوصف ، ولكننا نحاول أن نجعل جميع القادرين على الدفع بأن



مرضى في مستوصف البصرة

يدفعوا رسوم المستوصف .

ومنذ فترة قصيرة جاء إلينا في المستوصف فتى يبلغ الخامسة عشرة من العمر . كان الفتى يشتغل عاملاً في واحدة من السفن العاملة في ميناء البصرة عندما انحشرت إحدى أصابع يده الصغيرة بإحدى الآلات وكادت أن تقطعها نهائياً ، وعلاوة على ذلك كانت عظام يده قد كسر جزء كبير منها ، ووجدنا باليد تمزقاً شديداً .

لم يكن أمامنا سوى نزع الأصبع لكننا قمنا بوضع عدة غرزات للفتى ، حتى التأم جرحه وشفي تماماً فيما بعد .

وبالرغم من أن يد الفتى كانت مغطاة . بشحم أسود عندما جاء



إلينا وبدا وقتها أنه من المستحيل تنظيف الجرح كاملاً ، إلا أن براعة الدكتور وورال عالجت الموقف الصعب .

غير أن معالجة هذا الفتى جاءت بعد أن قام الدكتور وورال بمعالجة شيخ بقرية قريبة من النهر ، وكان الصبي جاء من نفس قرية الشيخ . وقتها شعروا بأهمية العلاج في المستوصف وعند الدكتور وورال بالذات . ومؤخراً أرسلت ابنة أخ حاكم البصرة تطلب طبيب الإرسالية أن يأتي إليها في البيت ليعالجها . ورغم أنه كان لديها عدد من الأطباء إلا أنها قالت أنها حلمت قبل ليلة بالدكتور وورال وأن عليه الحضور إليها فوراً .

لقد كانت هناك الكثير من العمليات لإزالة الحصى أجريت مؤخراً ، وجميع تلك العمليات تمت بشكل جيد .

وقد جاءت إلينا مجموعة من المرضى يعانون من نخر في عظام الفك بسبب علاج سيء أعطي لهم من أطباء أسنان محليين في البصرة .

وتجئ إلى المستوصف حالات أمراض عيون ولكن معظمها تأتي وهي متأخرة ويصعب علاجها أو إننا لا نستطيع القيام بشيء لها ، غير أننا ساعدنا الحالات التي جاءت في بداية مرضها ، وقمنا بخدمة عظيمة للمجذومين الذين لا يجدون من يعالجهم أو حتى يرعاهم .

كما تأتينا دائماً حالات كثيرة لمرضى الحمى . وبالنسبة للبصرة فإن فيها حالات حمى أكثر من المعتاد هذا العام ، بل حتى أعضاء

الإرسالية أصيبوا بهذا المرض وصاروا يتقاسمونه مع العراقيين .

ورغم هذه الحمى اللعينة فإن موظفي الإرسالية سواء كانا مرضى أو أصحاء فإنهم يواصلون عملهم كالمعتاد .

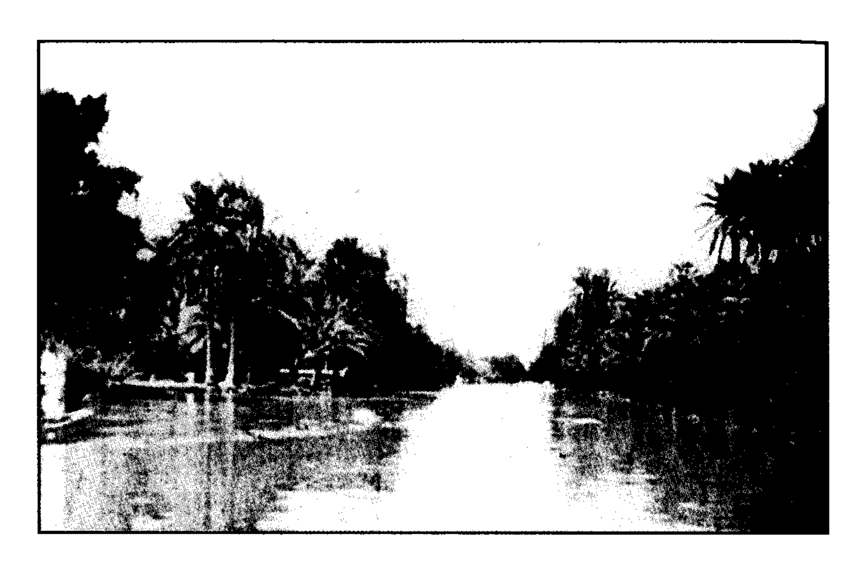
كان اليوم الوحيد الذي أغلقنا فيه المستوصف ، باستثناء الآحاد طبعاً ، هو اليوم الذي توفي فيه طفلنا .

في الأسابيع الستة الماضية كنت أذهب إلى المستوصف كل صباح وأتحدث مع النساء بعد الصلاة الجماعية . وهذا العمل يعطي الكثير من البهجة ، وأتمنى بالمقابل حصول الجميع على هذه السعادة .

أستطيع أن أقول أن الناس هنا جهلاء لدرجة أنه من الصعوبة أن يُدخِلوا أفكاراً جديدة في عقولهم ، فمن بين جميع النساء اللواتي يأتين إلينا هناك ثلاث نساء فقط يستطعن القراءة ، وواحدة من هؤلاء الثلاث تدعى المعلمة (الملاية) . وسألتها مرة إذا كانت تستطيع أن تقرأ فقالت : لا . واعترفت بعدم إمكانيتها القيام بذلك ، ولكن النساء الأخريات أخبرنني بأن هذه المرأة مادامت تدعى (الملاية) فإنها يجب أن تكون قادرة على القراءة ، وهكذا عندما جاءت إلي مرة أخرى أصررت عليها لكي تقرأ ، وأطاعتني «الملاية» ثم سمعتها عدة مرات وهي تقرأ تعاليم الكتاب المقدس!

لقد وجدت هذه المرأة المسلمة أنه سيكون شيئاً جيداً أن تقرأ كتابنا المقدس ، وعندما جاءت إلينا في المرة الأولى كانت امرأة مزعجة جداً ، وكانت تسخر من كل شيء طوال الوقت وتحاول أن





نخيل البصرة

تجعل من بقية النساء يضحكن على ما أقوله ، ولكن بعد قراءتها للكتاب المقدس لم ألاحظ أية مشاكل معها ، وقد جاء عدد من أقاربها للعلاج في مستوصف الإرسالية ووجدتهم جميعاً يبشرون بنتائج جيدة لتنصيرهم!

وقد قامت الآنسة ميلر التي كانت ضيفتنا في البصرة خلال شهر سبتمبر الماضي ، والمبشرة المستقلة ، قامت بإعطاء أحاديث روحانية إلى النساء اللواتي يحضرن المستوصف خلال فترة إقامتها معنا .

وقامت بتعليمن صلاة : «الله أعطني قلباً جديداً وروحاً» ومنذ رحيلها وأنا أقوم بتدريس النساء هنا ، وأبدأ الصلاة بـ «أبعدني عن الشيطان وأغفر لي خطاياي» .

وقد علمتهن الآنسة ميلر صلوات مسيحية معروفة ، وتطلب منهن أن يرددن ذلك وراءها .

وعادة ما نسمع عن شجارات في الشارع . ففي أحد الأيام كنت أبشر وأتحدث عن موت المسيح ، وفجأة قامت امرأة مسلمة وهتفت : «المسيح لم يمت» عندها تراجعت إلى الوراء وقلت لها : أوه . . نعم أن المسيح قد مات وإننا نعرف ذلك عن طريق الكتاب المقدس .

وكل المسلمين هنا يعتقدون أن المسيح لم يمت ، ولكن شخصاً آخر غيره يشبهه هو الذي مات . غير أن هذه المرأة لم تعد تقاطعني مرة أخرى ، لكنني لا أستطيع الجزم بأنها تنتقد ما نقوله أثناء إصغائها لأحاديثنا عن المسيح . فهذه المرأة تبدو ذكية جداً ولديها اعتقاد مغاير حول هذا الموضوع .

وبعض النساء الكاثوليكيات اللاتي يأتين إلينا هن يأتين تقريباً مثل النساء المسلمات في جهلهن وعدم استطاعتهن الإجابة على أسئلة بسيطة حول الكتاب المقدس .

لقد كانت واحدة من هؤلاء النسوة العاملات في الإرسالية مثالاً حقيقياً لما أقول . فقد عملت ممرضة معي هذا الصيف ، وهي في العادة تعمل في غسل الملابس ، ولكنها عملت كممرضة بسبب بعض الخبرة والتجربة لديها كممرضة للأطفال ، وأيضاً بسبب أنني لم أستطع الحصول على غيرها .

وفي صباح أحد الأيام كانت هذه الممرضة في المستوصف ،





المبشرة الأمريكية وورال

وكانت تستمع بوضوح وبيقظة لحديث كنت ألقيه حول «انتصار المسيح في العالم» .

وبعد أن ظننت أنني شرحت الدرس بالعربية جيداً بدأت أعلق على انتصار المسيح على الشيطان وغير ذلك . وبعد انتهائي من الدرس التفت إلى تلك المرأة وقلت لها « من انتصر في العالم؟ فردت

عليّ حالاً وبجدية قائلة : «الشيطان»!

قلت : أوه . . ويل لنا إذا انتصر الشيطان علينا وعلى العالم . لا . . إن المسيح هو الذي انتصر . واضطررت لشرح الدرس مرة أخرى .

إنني أظن أن هذه المرأة تتحدث بدون وعي أو تفكير ، وتلك مسألة صعبة وأحيانا مضحكة رغم الجهد المضني الذي بذلته في شرح الدرس!

ولعل بعض النساء مثل الأطفال الصغار . فالواحدة منا يجب أن تتحدث إليهن ببساطة شديدة ، ولكنني حتى الآن أجد صعوبة في القيام بذلك .

ولعل ذكر الحوادث والتوضيحات بالرسوم وغيرها تجعلهن يبدين اهتماماً أفضل . وقد كانت إحدى النساء يقظة جداً في البداية ، لكن بعدها بيوم أو اثنين أصبحت امرأة مزعجة تتحدث وتقاطع طوال الوقت ، بل وحتى في أوقات الصلاة تثير الإزعاج . غير أنني استطعت بمساعدة الرب أن أجعل المرضى معها وأن تنشغل معهم دائماً ، وبسبب ذلك شعرت أن الشيطان يحاول أن يبعدها عن الاستماع إلى دروسي الدينية!

في ذات صباح كانت المرأة الكاثوليكية ، التي عادت ما يكون انتباهها للدروس صعباً جداً ، استمعت إليّ هذه المرة بشكل جيد عندما رحت أحكي حكاية بداية الخليقة .

لقد قالت لي المرأة بأن لديها صبيا يستطيع القراءة وأنه قرأ



الحكاية لها من قبل ، وقد بدت المرأة مهتمة جداً وفهمت الحكاية بشكل جيد .

ولدينا أيضاً امرأتان يهوديتان مزعجتان جداً وتحاولان إزعاج الجميع طوال الوقت .

ورغم كل تلك الصعوبات والمشكلات إلا أنني لازلت أثق بأن العمل الطبي في البصرة لن يتوقف في السنة القادمة بسبب بعض المخاطر التي ربما تحدث .

كما إننا نأمل إرسال طبيب من البحرين لكي نتمكن من مواصلة العمل في مستوصف البصرة .

المبشر الأمريكي «جيمس مورداك»
في جولة تبشير عام ١٩٠٣م:

# العمارة مدينة جميلة ومكان صحي!

**بين شهري مايو ويونيو عام ١٩٠٣م تجول المبشر الأمريكي المعروف «جيمس موردياك» في مدينتي العمارة والناصرية بالعراق .**

**كان هدف الجولات هو كالعادة التبشير المسيحي والتعرف على أهالي المدن وأفكارهم ونظرتهم إلى المسيحية .**

**وكتب المبشر «موردياك» عن تلك الجولات قائلاً :**

خلال شهري مايو ويونيو قضينا ٣٢ يوماً من الترحال والتجول بين نهري دجلة والفرات ، وقد قمنا بزيارة عشر مدن مختلفة ، ولكن نصف الوقت تقريباً قضيناه في واحدة من محطاتنا النائية .

وفي شهر يوليو ذهبنا في رحلة بعيدة وقصيرة أيضاً لزيارة محطة نائية قرب نهر دجلة .

لكن دعوني الآن أكتب بعض الشيء حول تلك المدينتين «الناصرية» و«العمارة» .

فعلى ضفة نهر الفرات تظهر بلد الكلدان في العراق القديمة . وهناك توجد مدينة الناصرية .

ولعل الانطباع الأول لهذا المكان كان مشجعاً جداً ، فالناصرية هي المدينة الأولى التي رأينا فيها دلائل تحضر . فالشوارع واسعة بما فيه الكفاية ، وتسير عليها ثلاث عربات جنباً إلى جنب ، كما أن الشوارع مستقيمة حقاً وتقطع كل واحد منها بزاويا صحيحة .



منظر من البحر لمدينة العمارة

ومع أن بيوت المدينة شرقية الطراز ، إلا أنها واسعة ومبنية من القرميد . وهناك أكواخ مصنوعة من سعف النخيل ، وتوجد أيضاً أكواخ من الحصير ، ولكنها قليلة هنا ولا تتواجد إلا في ضواحي المدينة .

وجدنا السوق أيضاً واسعة جداً ونظيفة والفواكه والخضراوات تُحضَر إلى السوق هنا والأسعار معقولة جداً .

كان مبنى البلدية كبيراً ومستطيلاً ومبنياً من طابقين ، كما أن مبنى الحاكم القريب منه هو بيت شرقي من الطراز الأول . وفي المدينة وجدنا مسجدين .

وقد قيل لنا بأن بعض الأغنياء العرب امتلكوا المدينة في البداية ، ثم قاموا ببناء هذه المباني الضخمة والفاخرة .



وفيما بعد استولى عليها الأتراك ، ولكنهم حافظوا عليها كما هي على أشكالها السابقة .

ويسكن الناصرية في الوقت الحاضر العرب ، واليهود ، والصابئة ، والضباط والموظفون الأتراك . كما أن بدو العرب هم زائرون مألوفون ومتكررون للمدينة ، ويعيشون في السهول العريضة ويقيمون خلف وعلى طول النهر .

وقد حصلنا على عدة فرص لمقابلة كل هذه الطبقات والقوميات ووجدناهم جميعاً لطفاء جداً وكرماء . وأستطيع أن أقول أن الأجنبي هنا لا يزال غريباً في المدينة ، ولكنه مع ذلك يعامل باحترام ، غير أن إزعاج الفضوليين والمتطفلين يعكر ذلك أحياناً .

لقد عشنا في «خان» وهو يشبه النزل يقع على ضفة النهر ، والمبنى مفتوح جداً على النسيم البارد .

وهنا استطعنا استقبال الزوار ، وتحدثنا مع عدد كبير من الذين كانوا مستعدين للاستماع إلينا وإلى أفكارنا .

كما قمنا بزيارة عدد كبير من بيوت الموظفين الأتراك ، وفي أحد البيوت قبلنا دعوة للعشاء .

وفي يوم الأحد تمكنا من القيام بصلاة قصيرة دعونا فيها المسيحيين القلائل الذين قابلناهم هنا . ولكن لا أحد منهم ظهر أو جاء ، ولذلك أقمنا الصلاة مع مساعدينا فقط .

وبين جميع الذين كنا ندخل في مناقشات معهم في المسائل

الدينية كان الموظفون هم الأكثر تثبيطاً للهمة والأكثر احباطاً لنا . فهم مثلاً لا يعترفون بأن دروس المسيح الموجودة في الكتاب المقدس على أنها الحقيقة الوحيدة .

وقد بدوا لنا أنهم نوع من المسلمين الذي من الصعب جداً إقناعهم بأية أفكار دينية جديدة .

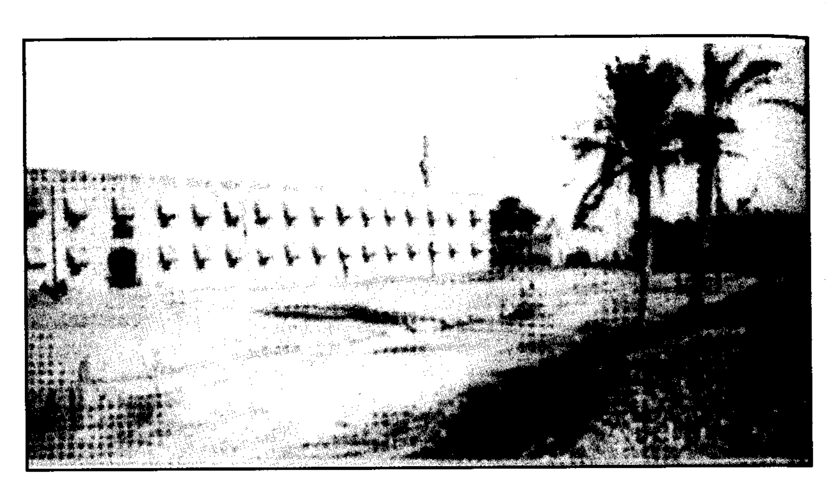
أما طائفة الصابئة ، الذين يحصلون على احترام قليل من المسلمين ، فإنهم يظهرون لنا في البداية انطباعاً بأنهم «الشعب المختار»! وهم يشتكون دائماً من أنهم مضطهدون جداً ويعانون كثيراً من القمع .

لكنهم ليسوا متمسكين في قضاياهم الدينية ، ولا يُظهِرون اهتمامهم بالتعليم .

وقد تعرفنا كذلك على الكثير من الأشخاص في المدينة فواحد منهم كان يهودياً يعمل موظفاً في الحكومة ، وقد جاء إلينا ليروي كيف حاول أن يعيش في المدينة وكيف أنه كان يمقت الإسلام ، واكتشف بعد فترة قصيرة بعدم وجود أي خير أو مصلحة في اليهودية . وأراد الرجل اليهودي منا مساعدته في الدخول في المسيحية واعتناقها مثل المسيحيين ، وبعد إجراء اختبار وجدنا بأنه ليست لديه رغبة حقيقية للمسيحية ، باستثناء أنه متأكد من عدم اقتناعة بالدين الإسلامي ، كما أنه لا يؤمن بدين آبائه .

وعندما تحدثنا مع الرجل بعد ذلك في الإنجيل يظهر لنا ضعف





منظر لمدينة الناصرية

موقفه وخفايا نواياه فقد قال لنا بأنه لم يطلب اعتناق المسيحية لأنه يريد المال ولكن لرغبته بكتابه رسالة إلى المبشرين في بومبي الذين يمكنهم مساعدته وإعطاءه وصية مسيحية!

أما الشخص الثاني الذي جاء إلينا بعد اليهودي ، فهو شاب عربي كنا اطلعنا سابقاً على رسائل منه ومن مساعدنا الذي كان يدرسه .

جاء إلينا هذا الشاب في المساء وتحدثنا معه بحرية حول تخليه عن الإسلام واعتناقه للمسيحية ، وقمنا بمساءلته بشكل واضح حول جديته وإخلاصه حول ذلك .

وفي إجابته على سؤالنا حول لماذا هو يؤمن بالمسيح وكيف تعرف أنه الصادق . قال لنا الشاب : «من هو الذي يناديني ويظهر لي المسيح



المبشر جيمس مورداياك

المنقذ والمخلص؟ بالتأكيد إنه ليس إنساناً» .

وقبل أن نفترق عند حلول الليل قمنا بالصلاة وطلبنا من مساعدنا الصلاة أيضاً .

كان الشاب يأتي إلينا بقدر ما كان يستطيع رغم أن الحوارات معه لم تكن سهلة بالمقارنة مع الآخرين ، فهو قارئ ممتاز ومجتهد في دراسة الكتاب المقدس ، فكل جزء نعطيه إياه يقوم بقراءتة ، ثم يقوم برواية كل ما قرأه .

من المؤكد أن محل بيع الكتب المسيحية في هذه المدينة هو مكان ضروري حقيقة إذا كنا نريد الوصول إلى الناس ، خاصة بالنسبة للذين يرفضون قطعياً الحديث عن الدين في الشوارع والذين لا يطالعون الكتب المقدسة المعروضة للبيع .

وقد أخبرنا موزع الكتب عن هؤلاء الناس . ووجدنا أن كلامه صحيح ، وتأكدنا من كل ذلك بأنفسنا . ولكن الناس هنا لديهم الاستعداد للمجئ إلى محل بيع الكتب ، ويجدون أنه المكان المناسب للحديث معهم .

وفي شهر يونيو زار محلنا في الناصرية ٢٩ مسيحياً و٣٨٧ مسلماً و١٩٣ يهودياً و١٩ صابئيا ، ودارت معهم جميعاً مناقشات وأسئلة وأجوبة حول المسيحية وقضاياها .

كانت زيارتنا لمحطتنا النائية الثانية مدينة «العمارة» مخططاً لها منذ أسابيع من قبل ، ولكن فجأة أصبحت الزيارة ضرورية عندما

وصلتنا أنباء بأن جميع الدكاكين والمحلات في سوق الناصرية قد دمرت بسبب حريق كبير ، وأن مكتبتنا التي تبيع الكتب المسيحية قد دمرت مع المحلات الأخرى التي احترقت .

وعندما وصلنا إلى هناك وجدنا مساعدنا محبطاً جداً علاوة على أنه كان لا يعرف ماذا عليه القيام به لإعادة العمل في المكتبة .

لقد وجدنا بأن هناك حوالي ١٦٥ محلاً قد دمرت ، وأن جميع مخزوناتها وبضائعها تحولت إلى رماد أو سرقت أو دمرت ، وفقدت الإرسالية في هذه المكتبة ما قيمته ٥ آلاف دولار تقريباً .

وقبل مغادرتنا للسوق دعانا مالك المكتبة إلى زيارته والحديث معه ، وخلال اللقاء عرفنا منه بأن السوق في الناصرية سيعاد بناؤه ، ولكن المحلات لن تكون جاهزة قبل ثلاثة شهور على الأقل ، ولهذا فإن عملنا هنا سيتأخر حتى ذلك الوقت .

وهناك نسخ جديدة من الكتاب المقدس هي الآن في يد موزع الكتب التابع للإرسالية ، ولكنه لا يجد مكاناً لعرضها باستثناء زياراته للمقاهي وقيامه باهداءات الكتب إلى الناس .

وفي زياراتنا للمقاهي و غيرها لم نستطع الحصول على انتباه الناس هنا ، فالجميع هنا لا يملون من الحديث عن حريق السوق ، وأحاديثهم عن الحريق متواصلة ، كما أنهم يتحدثون عن الخسائر فيه وغير ذلك .

وبعد ثلاثة أيام من وصولنا المدينة زارنا قسيس الكاثوليك



الكلدانيين . لقد كان القسيس طيباً جداً وجاداً في مناقشاته معنا .

وقد أخبرني موزع الكتب بأن الرجل كان يزور المكتبة في السوق بانتظام وأنه كان يتناقش مع المسلمين الزائرين حول المسائل الدينية .

وبعدها قمنا برد الزيارة ، وزرنا المدرسة المسيحية ، وقد وجدنا فيها حوالي ٢٥ تلميذاً ، وفي غرفة أخرى كانت هناك فتيات كثيراً كن يستفدن من أوقاتهن بقراءة تلاوات مسيحية باللغة العربية .

كان هؤلاء الأطفال يدرسون أيضاً التركية والفرنسية بجانب العلوم والمعارف الأخرى مثل : الحساب والجغرافيا وغيرها .

ويوجد في المدرسة المسيحية هنا مصنع صغير يتعلم فيه الأولاد دروساً في الحدادة والنجارة وصنع العجلات .

وعندما غادرنا مدينة العمارة عائدين إلى البصرة لم أجد ما أدونه في دفتر مذكراتي الصغير سوى كلمتين عنها هما : العمارة مدينة جميلة ومكان صحي ، كما أن سكانها ليسوا إعداء لعملنا .

المبشرة الأمريكية «وورال» في مستوصف البصرة عام ١٩٠٤م:

# «خبز البصرة» يعالج الملاريا!

**مع السنوات الأولى للقرن العشرين بدأت المبشرة الأمريكية السيدة وورال العمل في مستوصف الإرسالية الأمريكية التبشيرية في البصرة .**

**وعن تلك الأيام الأولي لمستوصف البصرة كتبت المبشرة «وورال» عام ١٩٠٤م تقول :**

بداية إننا نشكر الله على هديته التي لا تقدر بثمن وهي الصحة . فمع نعمته هذه وبسبب انتقالنا إلى مكان صحي أفضل في البصرة ، أصبحنا بعيدين تماماً وفي مأمن من هجمات الحمى هذا العام .

ولضمان عدم الإصابة بالحمى رغم كل تلك الاحتياطات فقد تناولنا جرعات صغيرة مما يدعى محلياً هنا «خبز البصرة» وهو المادة القلوية التي تعالج الملاريا .

وبعد هذه الضمانات الصحية بدأ العمل في مستوصف النساء عند نهاية شهر فبراير تقريباً ، أي بعد عودتنا من اجتماع الإرسالية السنوي .

وفي بداية عمل المستوصف كانت أعداد المرضى والمترددين عليه قليلة ، ولكن تلك الأعداد سرعان ما ارتفعت بشكل ملحوظ تدريجياً حتى شهري يوليو وأغسطس . ووصلت أعداد المرضى ما بين ثلاثين إلى أربعين في بعض الأيام .

ورغم النجاح الكبير الذي نلاقيه في عملنا الصحي في البصرة ،

إلا أننا أيضاً نواجه صعوبات كبيرة . فمثلاً نحن لا نمتلك سوى غرفة صغيرة واحدة للعمل الطبي ، وهي طبعاً غير كافية للقيام بكل المهمات والخدمات . كما إنها تكفي لتردد النساء في وقت ما بين فترة غلق المستوصف للصلاة وساعة الغداء .

وأثناء مروري الدائم على النساء لاحظت إنهن يجتمعن مع الرجال في الرواق بين غرفة الطبيب الاستشاري وورال وغرفتي .

واكتشفت مع الوقت أنه عبر فجوة في الجدار الأسود الصغير القريب من القاعة الرئيسية التي تطل على المكان ، كان بإمكان جميع المنتظرين من رجال ونساء سماع أحاديثنا وحتي ثرثراتنا بشكل واضح . وهذه مشكلة أخرى في المستوصف الذي لا نستطيع تدبير أية خصوصية فيه لنا وللعاملين ، بل إن الصعوبة الأكبر تكمن في حاجة النساء إلى مكان انتظار خاص بهن يحجبهن عن الرجال .

وبخصوص المعالجة في مستوصف النساء ، فقد كنا في البداية نحدد تاريخ كل حالة مرضية لوحدها . وحيث أنه لم تكن توجد لدينا بطاقات خاصة وعملية ، فقد قمنا بشراء أوراق رخيصة ، ثم قام المستوصف بتنظيم هذه البطاقات حسب التصنيف الأبجدي للمرضى والمترددين وتاريخ حالاتهم المرضية . لكن هذا ـ مع الوقت ـ أصبح شيئاً مرهقاً بالنسبة لنا كأطباء ومرضى .

ولذلك تم إنشاء نظام البطاقات الصحية ، ورحنا نسجل فقط الملاحظات على الحالات والعلاج على تلك البطاقات ، ووجدنا أنه





منظر من البصرة

من غير الضروري البحث عن تاريخ كل حالة لكسب الوقت وتوفير الجهد .

وفي التمريض فإن الممرضة العراقية «جميلة» هي مساعدتي القوية في قسم النساء والتي وفرت عليَّ الكثير من العناء . ورغم جهدها الملحوظ إلا أن الكثير من متطلبات التمريض والعناية بالمرضى وتدبير طعامهم كنت أقوم بها وحدي .

وبسبب عدم وجود ممرضة ذات كفاءة طبيعية ، وعدم وجود ممرضات عراقيات متخرجات من كليات تمريض ، قررنا الذهاب إلى الهند في الإجازة واستثمار الإجازة في البحث عن ممرضة هندية ذات

كفاءة وتدريب للعمل في مستوصف النساء بالبصرة .

وبالفعل تمت الاستجابة لصلواتي ومحاولاتي في الهند . ففي النهاية رجعنا إلى البصرة ومعنا الممرضة الهندية الجديدة «ماري» .

و«ماري» امرأة مسيحية طيبة غير متزوجة . وقد أظهرت منذ الأيام الأولى لعملها في المستوصف براعة في أدائها تعبر عن تجارب ممتازة في حقل التمريض . ومع الوقت بدأنا نعطيها أعمالاً هامة في المستوصف ، وكانت تقوم بها بكل همة ونشاط .

وفي الواقع فإنني آمل من الممرضة «ماري» أن تصبح مهتمة أكثر بأعمال الإرسالية عموماً في البصرة ، وأن تستطيع تعلم اللغة العربية مع الوقت .

لقد مضى على عمل «ماري» عام واحد فقط . غير إننا واثقون من أنها ستحب عملها معناً أكثر إلى درجة أن تصبح نموذجاً طيباً للعاملات عندنا .

بقي أن أقول عن «ماري» أن والدها قد تحول من الديانة الهندوسية إلى المسيحية ، وهو رجل من طبقة عالية في الهند . كما أنها وعائلتها أصبحوا ضمن الأعداد الجديدة في كنيسة البعثة الإنكليزية في بومبي .

وفي شهر أكتوبر الماضي كان المستوصف غاصاً بالمريضات ، بل لم يكن هناك مكان للمزيد على الإطلاق .

وقبل مغادرتنا للإجازة بأسبوعين قمنا بالاعتناء بامرأة عراقية



كانت تعاني من مرض الاستسقاء ، وقد تحسنت حالتها تدريجيا بسبب العلاج المكثف الذي أعطيناه إياها لبعض الوقت . ولم نكتف بذلك بل حاولنا جاهدين إيجاد شخص يستطيع ترحيلها إلى مستشفى البحرين بالمنامة لكي يعتنوا بها هناك حتى عودتنا من الإجازة . لكن جميع المحاولات كانت مع الأسف بدون جدوى .

وهذه السيدة نفسها جاءت إليها السيدة ليتون إحدى عضوات الإرسالية الأمريكية في البصرة وتحدثت معها لأوقات طويلة ، وكانت السيدة العراقية المريضة تقدر ذلك كثيراً . ففي البداية كان تصغي إليها بشكل جيد عندما تتحدث عن المسيح ، ولكنها بعد ذلك كانت تحاول أن تصرف الانتباه عن ذلك بواسطة طرحها لبعض الأسئلة عن أشياء أخرى .

واكتشفنا بعد ذلك أن بعض الخدم المسلمين في البيت بعد أن وجدوا المرأة العراقية تصغي باهتمام ووجدوها تأخذ الأمور بجدية ، قاموا بتوبيخها وطلبوا منها عدم الاستماع إلى أية أحاديث عن المسيح .

وفي الواقع فإن مسألة مسيحية أو إسلام الخدم هي قضية مهمة بالنسبة لنا .

فالمرأة التي تساعدني في مستوصف البصرة هي مسيحية ، ولكن الرجل الذي يساعد الطبيب وورال هو مسلم .

وبالطبع فإننا نشعر بأنه من الأفضل أن يكون جميع العاملين



مرضى في مستوصف البصرة

لدينا مسيحيين غير إننا نعترف بأننا لم ننجح حتى الآن في الحصول على عاملين مؤهلين ليحلوا بدل المسلمين الذين كثيراً ما كانوا يخفقون ويعيقون عمليات الوعظ التي نلقيها على المرضى .

بعد وصول السيدة ليتون عضوة الإرسالية إلى البصرة قامت بإعطاء دروس دينية للنساء في المستوصف نفسه بعد نهاية الصلاة الصباحية اليومية .

وبعد مرور فترة قصيرة قمت بمد يد المساعدة للسيدة ليتون ، حيث قمت بإدارة تلك الاجتماعات والدروس مرتين في الأسبوع . بعدها كان على السيدة ليتون الذهاب سريعاً إلى البحرين لمساعدة المرضى





هناك . وبعد مغادرتها إلى البحرين حاولت إكمال عملها في الدروس والاجتماعات . غير أن هذا كان عملاً صعباً جداً لتأثيره الواضح على عملي الطبي في المستوصف .

ولم تستمر شكواي طويلاً . فقد استطعت فيما بعد الحصول على إمكانية العمل في الدروس ومعالجة المرضى ولكن خارج المستوصف . فبعد فترة قصيرة طلبت مني إدارة الإرسالية الذهاب إلى بعض البيوت العراقية في البصرة لمعالجة المريضات اللواتي لا يستطعن المجئ إلى المستوصف . وهكذا استطعت معالجة المرضى والتحدث ، واعترف في النهاية أن تلك الأحاديث الهادئة عن المسيحية مع المرضى في البيوت كانت أجمل فترات عملي ، خاصة عندما يجد الإنسان أنه قد ضجر من واجباته اليومية .

المبشر الأمريكي «جون فان أيس» يتجول في فترة عيد الميلاد جنوب العراق عام ١٩٠٦م:

# ثرثرة على دجلة!

**في منتصف شهر نوفمبر عام ١٩٠٦م انتهز المبشر الأمريكي المعروف «جون فان أيس» إجازة عيد الميلاد المسيحية الطويلة ، وقرر التجول داخل مدن جنوب العراق .**

**ورغم استعدادات المبشر «جون فان» الكبيرة لهذه الرحلة ، إلا أن مفاجآت وحكايات كثيرة كانت بانتظاره ورفاقه . وكتب عنها بالتفصيل لمجلة الإرسالية الأمريكية قائلاً :**

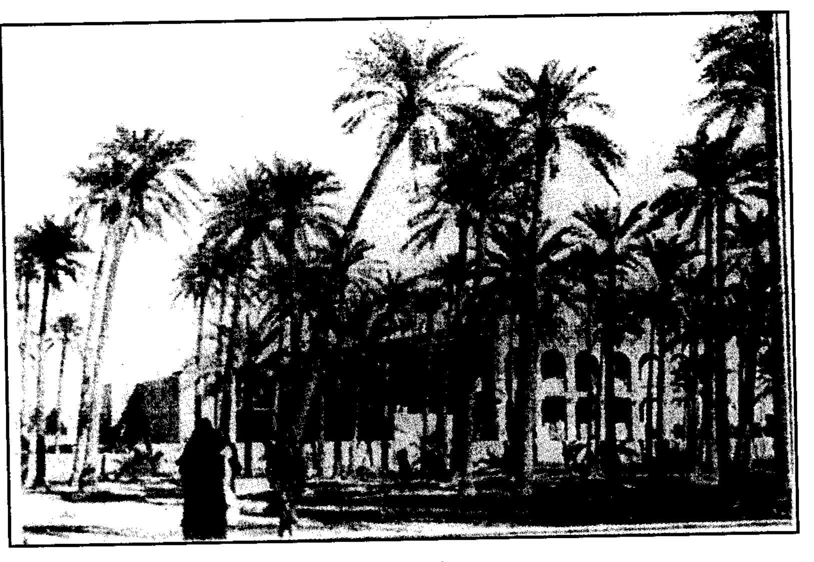
هذا تأريخ لعيد الميلاد أضعه في المقدمة . غير أن هذا العيد يأتي وأنا في الوحدة ، لكن في نفس الوقت لدي مشاعر عالية من السعادة التي لم أشعر بمثلها في حياتي .

وهذه الأيام تجعلني أسترجع ذكريات مطولة وحكايات لا تنتهي .

لكن علي أن أبدأ أولاً من تاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر عندما غادرت مدينة البصرة للقيام برحلة عبر نهر دجلة الشهير .

وقد رافقني في رحلتي كل من الطاهي «سولومون» و«اسكندر» بائع الكتب ، والذي كان يعمل سابقاً طاهياً ماهراً لدي ثم أصبح بعدها يتقن التركية ، وصار عنده حماس استثنائي والذي آمل أن يستخدمه جيداً في الإقليم الجديد الذي أريد أن ننفذ إليه نحو الحدود الفارسية .

وهذه السطور لا تجعلني أتحدث كثيراً عن «سولومون» .



منظر من البصرة

فهو مرافقي الذي يلازمني في جميع الرحلات وهو الرفيق والأمين والشجاع في كل الأوقات ، كما أن المقبلات وفواتح الشهية التي يصنعها من المطبخ تفعل الكثير لترفع من حالة الإنسان المعنوية في الطريق!

ولهذا فهو يعتبر نفسه مبشراً أيضاً ويقول عادة : «صاحب ، أنت تخدم المسيح بعقلك ولسانك ، وأنا أخدمه مع قدوري ومقلاتي» وهذا الرجل ماهر جداً . فقط أعطه قطعة من الفحم وقرميدة وفرصة بسيطة ، وأنا أؤكد بأن العشاء سيكون منافساً لأفضل مطعم أمريكي .

لقد وصلنا العمارة في يوم التاسع عشر من شهر نوفمبر ووجدنا أن صديقنا «توماس» استأجر غرفتين لنا في (بيت أمينة) وهي امرأة



كلدانية .

كان البخور يحترق في وعاء النحاس عندما دخلنا البيت ، كما أعطت السجاجيد والأرائك في البيت جواً عائلياً دافئاً وحميماً .

وتم تقديم العشاء لنا وكان يتكون من طبق سمك مقلي بدهن الخروف وطعام شرقي وبطاطا مقلية مع الخبز العربي . وبعدها جاء إلى البيت عدد من المسيحيين في المدينة من أمريكيين وسوريين وغيرهم لإلقاء التحية علينا . وتجمعوا كلهم عندنا حتى امتلأت الغرفتان ، ولم يكن هناك مجال لقدوم آخرين . واستغلت النساء الفرصة وقمن بتدخين السجائر بينما جلس الرجال بشربون الشاي .

بعد مضي بعض الوقت قمنا بغناء بعض التراتيل المسيحية وقرأنا أجزاء من الإنجيل ، وقمت بعدها بالصلاة وتضرعت إلى الله بأن يحفظنا جميعاً .

وفي صباح اليوم التالي كان الجو ممطراً وكانت الطرقات غير سالكة .

وفي فترة مبكرة من الصباح قرع الباب موظفان من الأتراك قالا لنا بعد فتح الباب إنهما جاءا لزيارتنا .

وقد كان الاثنان صديقين قديمين . أتذكر الآن قبل ثلاث سنوات مضت وبمناسبة زيارتي الأولى للعمارة ، كنت أسير بجانب مقدمة النهر عندما كانت مجموعة من الموظفين الأتراك يجلسون تحت ضوء القمر ، وعندما رأونا قاموا بالقاء تحيات كثيرة علينا وطلبوا منا

الانضمام إليهم . كان هؤلاء يشربون «العرق» وهو شراب محلي مسكر مصنوع من التمر وهو أكثر قوة حتى من المشروبات الكحولية الأخرى ، وهو عموماً ضار بالصحة بسبب قوته .

وبعد رفضي شرب هذا المشروب القوي اقترحوا عليّ أن أتناول كأساً من الشربات ، وقد أُحضر لي الكأس وهو مغطى بمنديل .

ورشفة واحدة فقط كانت كافية لأكتشف كم كان هذا المشروب كريهاً ، كان مجرد عرق وبدون أي تخفيف!

وقذفته في الحال من فمي إلى النهر مباشرة بينما راح الأتراك يقهقهون ضاحكين بصوت عالٍ ، ومنذ تلك الليلة أصبحت معهم صديقاً .

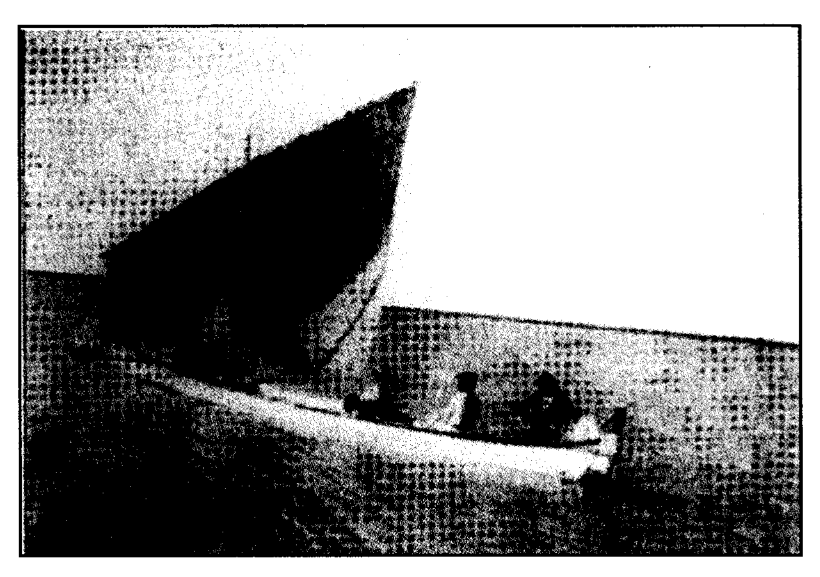
وبعد زيارتهما ذلك الصباح ، أحضر كل واحد منهما صديقاً ، وهكذا أصبحت دائرة معارفي الشخصية مضاعفة .

لقد كانوا جميعاً في توق إلى الأحاديث الدينية . وأظن إنني سوف أفاجئ الأصدقاء في أمريكا عندما يسمعون أي مجال من الموضوعات يمكن أن يناقشها الأتراك ببراعة وذكاء .

فموضوعات مثل : التطور ، المنطق ، فقه اللغة هي موضوعات مفضلة لديهم ، ولكن كالعادة فالمناقشات تتطور لتصل إلى الأمور الدينية .

وغير ذلك فقد كان أحد الأتراك يظهر معرفة شخصية جيدة بالآداب الفرنسية وعلم الأساطير اليونانية وغيرها .





قارب الرحلات التابع للإرسالية الأمريكية في جنوب العراق

وفي يوم الأحد التالي ، وفيما بعد صار كل أحد ، رحنا نقيم الصلوات الدينية وبحضور جمهور لا يقل أحياناً عن خمسة عشر شخصاً من المسيحيين المحليين . وانضم الطبيب «بينيت» من البصرة إلينا فيما بعد وجلس معنا لمدة اثني عشر يوماً ، وفي الواقع كانت تلك الصلوات هامة بالنسبة إلينا .

لكن حتى الكلمات لا تستطيع نقل مدى حاجتنا لمثل هذه الصلوات .

وانتهزت فرصة وجود الطبيب «بينيت» وقمنا بزيارة رسمية للحكومة ، وبعدها بأيام قليلة رد قائد القوات التركية الزيارة .

وأخذ الكولونيل إسماعيل بيي القائد من طفلي آلة الأرغن

الموسيقية وأخذ يعبث بها .

وعندما عاد إلى الثكنات أرسل ضابطاً وألقى تحية عسكرية وقال لي أن الكولونيل بيي يود أن يستأجر «البيانو» لأيام قليلة . وهكذا جاء الحمالون وأخذوا البيانو إلى الثكنات .

بعدها جاء إليّ الضابط ، وقال لي بعد توصيل سلام الكولونيل ، بأنه يريدني في مقر القيادة .

عندما وصلت إلى هناك وجدت آلة الأرغن موضوعة في وسط دائرة من الأفندية الأتراك ، وطبعاً لم يكن أحد منهم يستطيع العزف عليه ببراعة ، ولذلك طلب مني أن أنجز تلك المهمة وهي العزف ، وكانت التراتيل التي أحفظها هي ذخيرتي ، وحاولت في هذا الحفل التظاهر بأن مهاراتي محدودة ، لكنني حاولت مرة أخرى من أجلهم . وطبعاً ارتكبت بعض الأخطاء اليدوية وضبط النوتات العالية والمنخفضة على الأرغن لكن النتيجة كانت لا بأس بها .

وعندما انتهيت صاحت الغرفة كلها بـ «برافو» ، بينما أعلن الكولونيل «بيي» وهو يصيح بكثرة «والاه» ، بأن مثل هذه الأصابع الرشيقة من النادر رؤيتها في العمارة .

وما قاله «بيي» صحيح ، ولكنه غامض بعض الشيء . فالواقع إنني كنت تواقاً إلى الحصول على المديح . فقد كان أول مديح أحصل عليه في عزفي للأرغن .

وهكذا مضت الأيام ، بحصة متساوية من الزيارات والأحاديث





الدينية في البيت وفي مكتبة التبشير .

لقد كنت آمل أن اتخطى الحدود الفارسية وإذا أمكن للذهاب عبر النهر ، ولكن الواجبات كانت كثيرة جداً في العمارة بحيث رأيت أن من غير الحكمة أن أترك المدن الكبرى لزيارة قرية بعيدة .

وقد قطع اجتماع الإرسالية الوشيك في البصرة زيارتي القصيرة للعمارة ، ولكن لم يكن ذلك إلا بعدما قضيت ثمانية أيام في «قلعة صالح» وهي مدينة تبعد ثلاثين ميلاً عن النهر .

وفي «قلعة صالح» عقد تاجر شهير اجتماعات للمسيحيين البروتستانت في بيته وكان قد عقدها العام الماضي بنجاح في بغداد .

وبدت الأيام الثمانية التي قضيتها في ضيافة التاجر كأنها ساعات قليلة . ولم تمر علينا ساعة مملة أو فارغة بسبب طيبة الحجي (التاجر) ومضيفيه جميعاً حتى صباب الهوة ، فجميعهم كانوا يحرصون على أن تكون إقامتي طيبة .

لقد كان صباب القهوة نفسه ذا شخصية مثيرة للاهتمام . وكنت أجلس معه وأنا أراه وهو يطحن القهوة البنية بكل قوة . وفي الواقع كان الرجل يحب الثرثرة والقيل والقال ، وقد تظاهر بالشجاعة عندما أخبرني كيف أتصرف قبل عدة شهور عندما كان حارساً في النهر عندما هاجم مجموعة من العرب زورقاً بخارياً إنكليزياً .

وفي إحدى الليالي زارني جندي وأحضر معه زوجته وأولاده . وقد كان الرجل يعاني من الربو . وبعد أن أعطيته دواءً بسيطاً راح

يتحدث لي عن مشاكل عائلته .

وقال أن ابنه ذو العشرين عاماً هو مصدر أذى في حياته . فقبل ثلاث سنوات ، عندما كان عمر الابن سبعة عشر عاماً ، تزوج . ومنذ ذلك الوقت وهو يعيش مع زوجته عند والديها لكن مشكلاته كثيرة ، فقبل يوم هدد بكسر أسنان والدته إذا لم تبحث له عن زوجة ثانية .

وحتى في حضوري أنا ، قام الولد بسب والدته منادياً عليها باسمها الأول ، ولكنه توقف فقط عندما هددته بأن أرميه إلى الطابق الأرضي ، عندها فقط قطب الجبين وتوقف عن كل شيء .

كانت الأم قبل أن يكون لديها عائلة من المتفائلات بالحياة الزوجية ، وقد تفاخرت بمهارات ابنها الصغير في حذف الحجارة على الناس وأنها في نفس اليوم ضربت امرأة بالخيزران!

وفي اليوم التالي دعينا أنا والحجي لتناول الشاي مع حجي آخر ، وكانت تلك الحفلة طويلة ولكن ينبغي القول بأنني استمتعت بها . وعندما غادرنا المكان قام مضيفنا بصب ماء الورد على أيادينا ووجوهنا وملابسنا . وكانت رائحتي عندها تشبه رائحة دكان الحلاقة!

وفي المساء دعاني الحاكم المحلي للمدينة ، وقد وجدته ذكياً ورجلاً تركياً ودوداً جداً .

وقد تم تعيينه بعد أن أمضى بعض الوقت في مدينة الناصرية ، وهو يعرف الكثير عن أنظمة الإرسالية الأمريكية ورجالها .

وقضيت ثلاث ساعات في صباح اليوم التالي في منزل كبير





تاجر من البصرة

الملالي في المدينة . كان الملا يرتدي ثوباً أخضر وعمامة بيضاء ، ويظهر بمظهر فاتن ، بينما كان الوالي يتمايل في صحن الديوان وكانت النافورة تتدفق وتدندن بمصاحبة العزف .

والليلة التالية قضيتها مع الملا أيضاً ومع أسئلته وإجابتي عليها ، فقد سألني أسئلة كثيرة حول الكتاب المقدس ، وقام بالهجوم عليه في نفس الوقت . ثم قام بتصيد الأخطاء هنا وأبرز عدة انتقادات .

وكنت عند الملا أيضاً في الليلة التالية ،لكن الآية انعكست ، فقد كنت أنا الذي يهاجم . فقد وجهت (انتقادات) كثيرة للإسلام .

وأخيراً جاء يوم عيد الميلاد الزاخر بالأحداث والحكايات .

لقد كان الترحيب الأول الذي تلقيته من الشيخ فالح وهو وريث زعامة المشايخ في المدينة . وهذا الشيخ سمع عني بأنني كنت في «قلعة صالح» ولذلك قام بزيارتي ومعه عدد كبير من اتباعه لتقديم السلام . وقد بدوا جميعهم متحمسين علاوة على كونهم مسلحين ، ويلف كل واحد منهم حزاماً من الرصاص على صدره .

وبعد أن شربنا القهوة وتحدثنا معهم لمدة ساعتين ، ذهب الشيخ للمشي ، ولكن قبل ذهابه ترك الجميع أسلحتهم في غرفتي مكدسة وبدت الغرفة حينها وكأنها مستودع أو مصنع أسلحة . وكل سلاح كان منقوشاً عليه عبارة «ما شاء الله» .

بعد لحظات جاء المؤذن طالباً سائل الغرغرة لحنجرته لكي يستطيع الأذان بصوت قوي «الله أكبر» .



وفي العصر جاء الحاكم وتناولت الشاي معه ومع الملا وموظفين قليلين ، ثم بدأ تقديم عشاء الكريسمس الذي أعددناه والمكون من الأرز وكعكتين عربيتين .

وفي هذا المساء قمت أيضاً بزيارة للملا ، وفي الواقع فإن ذاكرة تلك الليلة لم تتلاش علي الإطلاق ، فقد بدا الملا وقتها هادئاً وجاداً أكثر من المعتاد ، وغير مستعد للمناوشات ، وكانت الغرفة الكبيرة مملوءة تماماً بالعرب والأتراك والسادة والموظفين والشخصيات الأخرى .

وبعد السلامات التمهيدية ، انجرفت الأحاديث بسرعة نحو المسائل الدينية ، وبسبب كونها ليلتي الأخيرة معهم قام الملا وبدون لباقة أو لطافة منه ، وجعلني أجلس على الأرض .

لكن طوال حياتي في التبشير لم أشعر قط بمثل هذا البهجة العظيمة .

كان أمام المسجد ينتظرني في البيت ، وتحدثنا معاً حتى ساعة متأخرة من الليل . وفي لحظة وجدت الإمام غاضباً ولكن سرعان ما استعاد هدوءه وعرض عليّ فتيل شمعة محترقاً كبادرة عن شعوره الطيب .

وبعد خروجه ، جاء إليّ «سلومون» موزع الكتب ورحنا نصلي معاً صلاة عيد الميلاد ، وتركزت دعواتنا في الصلاة على الذين حولنا والذين نحبهم ، فقد صلى سلومون لأحبائه في كردستان بينما صليت لأحبائي في أمريكا .

وقبل ذهابي إلى النوم قمت بجولة قصيرة مشياً فوق سطح المنزل ، ورحت أحدق في السماء المزدانة بالنجوم والتي تنشر إحسانها على المخيمات النائمة ، وعندما رجعت إلى غرفتي مررت على عرب نائمين ، كان بينهم شيخ يتمتم في حلمه : «يا الله . . يا رحمن» .

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي أخذنا الزورق البخاري الإنكليزي وعاد بنا إلى البصرة ، ورحنا نسترجع سعادتنا بتمضية عيد الميلاد مرة أخرى .

ولكن قلبي لايزال في «قلعة صالح» ، وأتخيل نفسي أسمع الشيخ وهو لايزال يغمغم : «يا رحيم»!





## المبشر الأمريكي «د. دياكسترا» في رحلة نهرية جنوب العراق عام ١٩٠٧م:

# أحاديث التمور والدين

**بعد عدة جولات في منطقة الخليج بدأت في مسقط بعمان والمنامة في البحرين ، حط المبشر الأمريكي المعروف «د . دياكسترا» بأمتعته البسيطة في مدينة البصرة جنوب العراق .**

**وحتى تلك الأمتعة التي لا تذكر لم تجد فرصة مع المبشر «دياكسترا» لترحل معه في رحلة تبشيرية بقرى ومدن جنوب العراق في نهاية عام ١٩٠٧م ، والتي كتب عنها يقول :**

انتظرني في البصرة ، وفي بيت الإرسالية الأمريكية ، ترحيب غير متوقع . فقد كان هناك شخص يقول لنا بصوت عال : هل لديكم نهر أفضل من عندنا؟

كان الرجل الذي زار كنائس غربية كثيرة يرى حماسنا للرحلة التبشيرية بين مدن جنوب العراق القريبة من البصرة ، وكأنه يزيد من فضولنا . وذلك أن الرحلة للآثار القديمة والتجول بين بساتين النخيل وعبور نهر دجلة ، كلها كانت تثير فينا الكثير من الشوق للحاضر والماضي .

ولكن المسافر على سفينة البريد الإنكليزية النهرية المريحة والسريعة معاً ، لابد أنه يفشل في ملاحظة شيئين على الأقل ، أولهما المدة الحقيقية لالتواءات النهر وكذلك القرى العربية التي لا تعد والمختبئة داخل بساتين النخيل الكثيفة .

وإذا أردتم أن أكون أكثر اطلاعاً على هذا الجزء من النهر في العراق ، فقد قررنا أن نقيم كوخنا الصغير لمدة بضعة أسابيع قرب مركز تصنيع التمور في «رأس ميمر» والتي تبعد عشرة أميال من الفاو وخمسين ميلاً من البصرة .

فقد وصلنا إلى المكان في يوم الجمعة وقضينا اليوم التالي لوصولنا في تشييد أكواخنا .

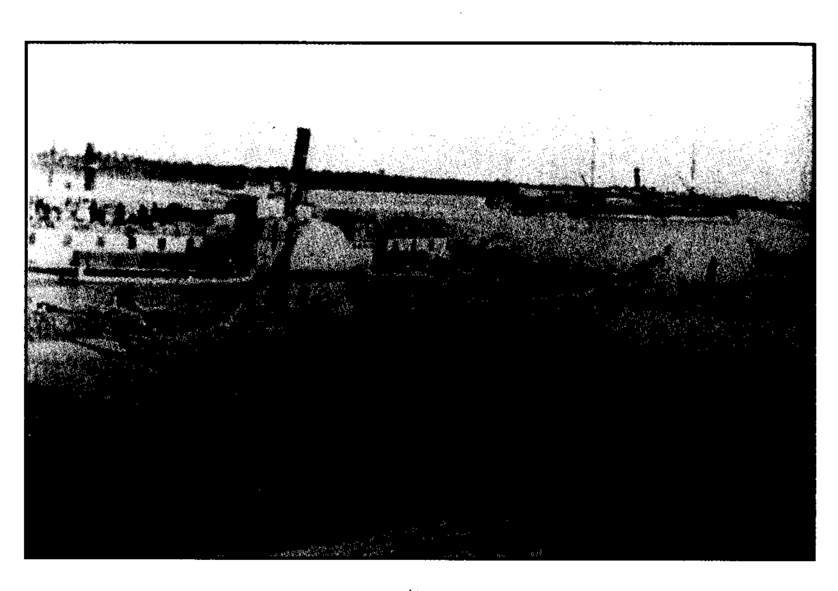
وفي الصباح الباكر بدأ السكان من العرب في زيارتنا . وكان بين هؤلاء ملا يدرس الدين الإسلامي وقد ظل هذا الملا في نقاش لمدة ساعتين مع السيد «فان أيس» حول دعوات المسيحية وغيرها من المسائل الدينية .

ومن الواضح أن الملا قد قرأ الإنجيل ، بل ومطلع بشكل جيد على الانتقادات المعتادة لديننا المسيحي . كان الملا يأتي إلينا كل يوم خلال الأسابيع الثلاثة التي قضيناها في المكان ، وعندما غادرنا المنطقة وعدنا بأن يأتي لزيارتنا في البصرة .

كما أن أحد شيوخ المدينة أعلن عن زيارته لنا عبر إرساله لنا كميات كبيرة من التمور والخبز والحليب والزبد ، وكان هذا الشيخ يعرض خدماته علينا دائماً ، ويواصل إلحاحه بدعوتنا لزيارته والاستمتاع بضيافته .

وفي إحدى الليالي طلب منا أن نحضر الفانوس السحري وأن يستضيف هو الناس ليشاهدوا الفانوس ، وبجانب متعة الناس





ميناء البصرة

استمتعنا نحن برؤية هذا الحشد الكبير من العراقيين الذي يتكون من أربعين شخصاً جلسوا على الأرض يحدقون في مناظر الحيلة والإثارة .

وفي إحدى الليالي أيضاً رافقنا هذا الشيخ في طريق عودتنا ، وقبل أن يغادرنا طلب مني الشيخ نسخة من الكتاب المقدس الذي قال إن الملا الخاص بهم سيقرأه في مجلسهم في ليالي الشتاء الطويلة .

وبالرغم من أن هذا الرجل متمسك بإيمانه بدينه ، إلا أنه كان يزورنا في البصرة ، وكان يظهر لنا رغبته في الاحتفاظ بعلاقات طيبة بيننا وبينه .

وفي عصر يوم سبت دعينا للقيام بزيارة إلى حاكم المنطقة الذي قال بأنه يعيش «بالقرب من الزاوية» عند «الدواسر» .

كانت الشمس لاتزال شديدة الحرارة عندما بدأنا الزيارة ، فقد ظهرت منذ فترة طويلة قبل أن نربط حبال قاربنا على اليابسة ونصل .

وبينما كان الرجال يقومون بذبح العجل السمين ، مضى الوقت علينا ونحن نتحدث عن التمور والدين ، وعند الساعة الحادية عشرة صباحاً أحضر الطعام مع أصوات عالية تقول : «بسم الله» ، وتم دعوتنا للمشاركة في الطعام . وقضينا باقي الليل في العودة إلى سكننا ، وكانت الشمس تشرق في صباح الأحد قبل وصولنا إلى معسكرنا في «ميمر» .

وحصل السيد «فإن أيس» على فرصة أيضاً لزيارة منزل الشيخ وزيارة الحاكم العربي قرب الفاو ، وهكذا فقد قمنا بزيارة كل الرجال العرب الهامين والرئيسيين في المنطقة الواقعة بين المحمرة والفاو . كما أصبحنا على ثقة بأن الأبواب قد افتتحت للتبشير المسيحي .

كنا في الواقع نقضي معظم أوقاتنا أثناء الرحلة في زيارة العرب من جميع الطبقات ، والاستمتاع بضيافتهم .

وبشكل عرضي كنا قادرين على معرفة وفهم كيف تؤجر وتعمل مزارع النخيل ، وكيف تعد التمور وتجهز لإرسالها لأسواق لندن ونيويورك .

وأماكن تصنيع التمور في جنوب العراق تقدم فرصاً خيالية






نساء ينظفن الأرز في البصرة

ومثالية لبيع الكتاب المقدس ، وكما يبدو من هذا من العمل فقد تمكن اثنان من بائعي الكتب التابعين للإرسالية ، وصلا إلينا من البصرة ، تمكنا من بيع حوالي خمسمائة نسخة من الكتاب المقدس وهما في طريقهما إلينا .

كان الموظفون الأتراك يُظِهرون لنا بوضوح عدم رغبتهم في علاقات الصداقة التي أقمناها مع العرب ، بل وقاموا بكل ما يستطيعون ليجعلونا ننهى المعسكر ونرحل .

وقد قام الموظفون الأتراك بتقديم العديد من الشكاوي ضدنا إلى السلطات هنا ، وبينما نحن على وشك العودة إلى البصرة وجدنا بانتظارنا رسالة مستعجلة مرسلة من الوكيل القنصلي الأمريكي عن طريق البصرة .

وقد اتهمتنا الرسالة بـ : «السيد فان أيس مع أصدقائه السيد

دياكسترا من البعثة البروتستانتية بأنهم ذهبوا إلى مقاطعة (ميمر) وهناك قاموا بالتبشير المسيحي بين العرب وقاموا بتوزيع كتب حول المسيحية» .

وطالبت رسالة القنصل : «ولمنع حدوث أي مشكلات يمكن أن يقوم بها هؤلاء السادة الموظفون الأتراك ، فإنني أكتب إليكم راجياً منكم التفضل بالعودة إلى البصرة بأسرع وقت تستطيعون» .

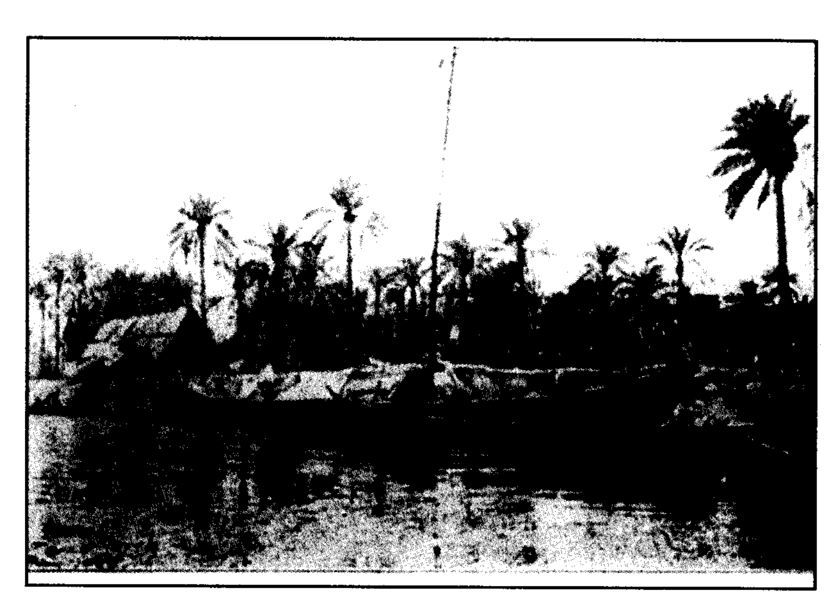
ولا حاجة للقول هنا إن هذه الطريقة ولا غيرها كانت تمنعنا أو ستعوق عملنا المسيحي في المستقبل هنا . فنحن لم نقم بأعمال تبشيرية باستثناء بعض التبشير في كوخنا ، كما إننا لم نقم بتوزيع كتب مسيحية!

في هذه البلد أعترف بأننا متحمسون جداً لمواصلة محاولاتنا وسط هؤلاء الناس ، خاصة أن هذه المحاولات لا تلحق أي ضرر ، وسهلة في الوصول إلى المناطق التي نريدها بواسطة قوارب النهر .

وبواسطة قارب الإرسالية الصغير الذي يعمل بواسطة المحرك ، فإن إرسالية البصرة لديها فرص لا تنتهي للانتشار والتبشير بالمسيحية وسط الآلاف داخل مزارع النخيل الواقعة على الأنهار والجداول في جنوب العراق .

ولعل أي معجب بالماضي التبشيري في العراق يستطيع أن يلاقى أدلة أفضل من رغبته في تكريم آباء الإرسالية والرواد القدماء وأحياء ذكراهم بهذه السفينة من خلال زورق يتجول في مياه البصرة .





قارب رحلات تابع للإرسالية الأمريكية في نهر الفرات

وهنا فإن المبشرين الإرساليين في البصرة يقضون أو عليهم أن يقضوا نصف وقتهم في مياه النهر! ففي هذه السنة قاموا بالسفر حول نهر الفرات وشواطئه لحوالي أربعة آلاف ميل ، وكانت معظم هذه السفرات قد تمت في زوارق طويلة بطيئة وخطرة .

إنني واثق أن العمل في المستقبل سيكون أفضل من خلال استخدام قوارب خفيفة الحركة وسهلة التحرك وآمنة وتعمل بمحرك متطور ولا تعتمد في سيرها على الريح والطقس كما هو الحال حالياً .

المبشر الأمريكي «إف. بارني» عن مدرسة البصرة عام ١٩٠٧م:

# مشكلات لا تنتهي.. ومال لا يكفي!

**اشتغل المبشر الأمريكي «إف .ج . بارني» لسنوات طويلة في العمل التبشيري بجنوب العراق منذ بداية القرن العشرين .**

**وفي شهر يناير من عام ١٩٠٧م كتب المبشر «بارني» تقريراً لمجلة الإرسالية الأمريكية حول أوضاع مدرسة الإرسالية في البصرة ، قال فيه :**

أستطيع أن أقول أن المهمات الأولى لمدرسة البصرة قد استطعنا تحقيقها بالكامل . غير أن هذا ليس كل شيء ولا نهاية العمل أيضاً . فالجهد كان صغيراً حتى الآن ، لكنه أظهر تطلعنا نحو التطور .

بالطبع فالمدرسة تحتاج إلى تطور وتغييرات وأيضاً إلى إمكانيات مادية . فمثلاً كان لدى المبشرين في العام الماضي عدد كبير من التلاميذ ولكن لا توجد عندهم صفوف لتعليمهم!

وفي بداية هذا العام تم تحويل موزع الكتب المسيحية إلى البصرة . وجاء طبعاً مع عائلته المكونة من ثلاثة أطفال وجميعهم كانوا في سن الذهاب إلى المدرسة ، مع ثلاثة آخرين كانوا يشكلون نواه لستة أطفال بروتستانت يعتمدون علينا في تدريسهم .

وفي بداية العام بدأنا تحقيق الغرض ، كما أن أيام الدراسة الأولى استمرت متواصلة ، وقد تم تخصيص واحد من غرف بيت الإرسالية لها ، وتم صنع طاولات وكراسي وتوظيف مدرس من أجل المدرسة .

وبينما خصصنا لهذا العمل مائة دولار فقط ، وجدنا أن المدرس

العادي هنا المتخصص في أي مادة يحتاج إلى تخصيص ضعف هذا المبلغ .

وبجانب ذلك كان الأثاث والتجهيزات الأخرى للمدرسة بانتظار وضعها . غير أن مشكلات واجهتنا مع الرجل الذي قام بصنع ذلك للمدرسة .

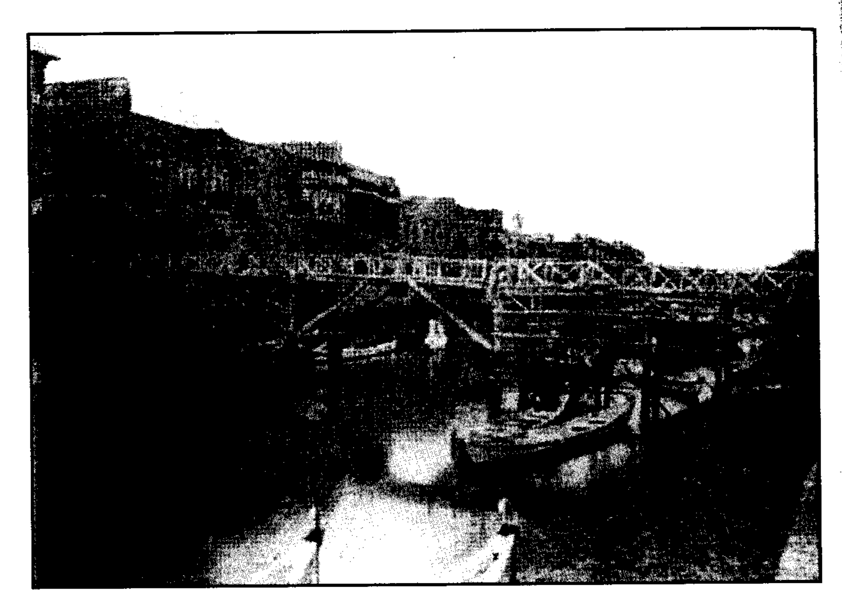
وبجانب الأثاث فقد ظهرت مشكلات أخرى مع المسئول عن المدرسة . ففي البداية كان العمل جيداً في المدرسة ، لكن المدرس الشاب المسئول أظهر فعالية أقل في عمله وليس كما كنا نأمل منه . كما أنه لم يستطع تطوير عمله بالمدرسة .

وبينما مضت السنة ، كانت جهود الأعمال الأخرى تتأثر بطقس الصيف وتترك للمبشر وقتاً أقل وعطاء أدنى للمدرسة . ولذلك فبدلاً من تطور المدرسة توقفت توقفاً تاماً .

وعندما أوشك الصيف على نهايته ، ومع عودة المبشرين من إجازاتهم الصيفية ومع حلول فصل معقول وتحسن الطقس ، استطعت أن أخصص كل وقتي للعمل وأخذت على عاتقي كل مسئولية ومهام المدرسة .

ومع انضباط التلاميذ وتقديم دروس منتظمة أمكن القول عن تحقيق تقدم ، فلقد كان الحضور في المدرسة في البداية يتراوح ما بين ٨ و١٠ تلاميذ لكنه الآن وصل إلى ١١ تلميذاً . وهناك الآن عدد من الطلاب الذين يرغبون في دخول المدرسة . ففي المدرسة الآن ثمانية





جسر في البصرة

تلاميذ نظاميين يحضرون الدراسة وواحد منهم مسلم . لكن الباقين غير جادين ، وتم طردهم لكي نتعهد بتطور الدراسة .

لقد علمتنا تجربة المدرسة عدة أشياء . لعل أهمها أن وضعها لا يمكن أن يتواصل هكذا .

فأولاً وجدنا أننا نستطيع إدارة مدرسة عبر منزلنا الخاص وهي مسألة لا تمنعها السلطات هنا . فهذا الواقع موجود منذ حولي عام وتؤكد بذلك على ضمان استمرارها في المستقبل . وهناك ربما اعتراضات في المستقبل على بعض الأساليب والأشكال في إدارة المدرسة ، لكن هذه ستكون مجرد أسئلة حول التفاصيل الأخرى .

وبقدر ما نستطيع المضي في عملنا وكفاحنا في المدرسة فإن وضعنا سيكون أقوى وأفضل .

أما المسألة الثانية التي تعلمناها فهي أن مسألة التطور بخصوص المدرسة تعني المال .

فهذه المسألة تعني بوضوح أن هناك مكاناً لمدرسة الإرسالية في البصرة ، ولكن الأمر يحتاج إلى مكان أوسع وإمكانيات مادية أكبر .

فعندما يطلب المسلمون مدرسة فإننا ننظر إلى هذا الطلب على أنه تحدٍ لنا ، إننا قادرون على هذا التحدي ، غير أن العراق الواقعة تحت الاحتلال التركي ليست بلادا رخيصة . فالإيجارات هنا عالية والمدرسون يطالبون بأجور جيدة ، فمدرسة بسيطة أو معتدلة من ثلاث مراحل دراسية في بيت متوسط معقول ستكلف في البصرة ٦٠٠ دولار على الأقل في العام .

ومدير مدرسة درجة أولى يقود مدرسة كبيرة سيكلف راتبه على الأقل ٥٠٠ دولار في السنة .

وكل هذا يعني إننا نتطلع إلى وجود مدرسة جيدة في المستقبل ، كما نأمل أن نحصل على النقود التي نريدها للمدرسة .

وهناك أمر آخر ثبتت لنا مع التجربة أهميته ، وهو أن اتخاذنا لبيت الإرسالية مقراً للمدرسة هو أمر لا يمكن استخدامه بشكل دائم ، فلا يمكن تسيير مدرسة في بيت مستأجر ، مهما كان هذا البيت . وفي فصل الصيف يجب أن يكون لدينا طابق أرضي أو على





طلاب عراقيون في مدرسة البصرة

الأقل غرف هادئة لكي نتمكن من الهروب من أوقات الحر القاسية في اليوم .

وفي الواقع فقد اجتزنا بعض تلك الصعوبات ، وقمنا بحل كل المشكلات هذا الصيف بواسطة انعقاد حصص الدراسة من السابعة صباحاً وحتي الثانية عشرة ظهراً ، ولكن ذلك لن يعد ممكنا مع المدارس الكبيرة . إن ذلك يجب أن يحل أو يمكن أن يحل عندما يكون لنا بيتنا الخاص ومبنانا المستقل ولكن ذلك مسألة أخرى .

هناك مدرسة أخرى تمت إدارتها لبضعة أشهر العام الماضي وهذا العام أيضاً بواسطة السيدة الدكتورة «وورال» وقد قامت بهذه المهمة

بجانب عملها في المستوصف . وهناك فتاة شابة تدعى «ياسمين» وهي مشغولة بالعمل وسط النساء ، كما أنها تساعد السيدة «وورال» في فتح العيادة في الصباح وإقامة الصلوات المسيحية .

وتأتي بعض الأمهات العراقيات بأطفالهن للمعالجة في المستوصف ، وبعضهن الآخر يحضرن للبقاء بأطفالهن في مكان آمن ، وهؤلاء الأطفال يجتمعون في صفوف المدرسة وغالباً ما يكون عددهم جيداً وحضورهم للصفوف معقولاً ومنتظماً .

والدروس التي تعطى لهؤلاء الأطفال هي الإنجيل والتعليم الشفهي والقراءة العربية والحساب . وفيما بعد أصبح العمل وسط النساء واعداً وتقوم ياسمين بمهمة تنظيف البيت ورعايته .

وبجانب المدرسة فإن العمل وسط النساء الذي تقوم به السيدة «وورال» يقود إلى عمل ممتع وجيد وسط الأطفال . فلديها الآن ثلاثة منازل أو مجموعة من المنازل منفصلة ولكن سكنتها متلاصقون كجيران في نفس الحي ، حيث تقوم في أيام الأحد بتجميع الأطفال وتعليمهم الكتاب المقدس والتراتيل المسيحية المقدسة . كما أن الحضور عندها متنوع ومتعدد إلى حد بعيد ، ولكن معدل الحضور في كل بيت يقدر بحوالي ٥١ تلميذاً كل أحد .

ومدارس الأحد تدار من قبل أعضاء من جماعتنا من أهل البلاد والبروتستانت ولديها حصص للإنجيل ويحضرها الشباب عادة .

وبيوتنا هنا متسعة جداً ، وربات المنازل في العراق تبدين



متقيدات كثيراً بالواجبات المنزلية ، ويظهرن حرية أقل في التخلص منها كما هو الحال في أمريكا .

إننا ندير المدارس هنا بواسطة عدد مختلف من البيوت بالتعاقب وهذا يعطينا أفضلية لكي نكون قريبين من الناس هنا ، غير أن الأهم هو إننا نؤمن بالتعليم فهو الذي سيزيد من أعداد المؤمنين الشباب بالمسيحية .

المبشر الأمريكي «آر. وورال» يطوف
نهر دجلة عام ١٩٠٨م:

# رحلة تخلو من التبشير والأناجيل!

**في بداية شهر يوليو عام ١٩٠٨م المملوء بالحر والعرق قام المبشر الأمريكي «آر . وورال» برحلة في مركب صغير دار به وزملائه في مياه نهر دجلة بالعراق .**

**وعن تلك الرحلة النهرية التي استغرقت بضعة أيام كتب المبشر «آر . وورال» عضو الإرسالية الأمريكية ومقرها الرئيسي ، مدينة البصرة ، كتب يقول :**

كم عدد الذين يرغب منكم الذهاب معنا في رحلة عبر نهر الفرات في العراق؟ أو على الأصح يريدون معرفة كيف قضينا بضعة أيام في مثل هذه الرحلة الصغيرة؟

بالطبع كان أول عنصر أساسي من رحلتنا هو البدء فيها وركوب المركب . ولعلنا في هذه اللحظة تذكرنا حجم وشكل مراكبنا في مدينة البصرة .

السفن في جنوب العراق عادة ما تكون طويلة الحجم وبعرض قليل بل وضيق . كما يتم دفعها بصوارٍ طويلة بواسطة رجال أشداء . ولكن الرحلات في هذا النوع من المراكب تكتفي بمعدل الرياح الذي يكفيها أحياناً عناء الأشرعة .

وقبل يومين من بداية الرحلة كان لابد لنا من البحث والاستفسار عن وسائل الأمان في المركب وعن بحارته طبعاً .

وبجانب هذه التحقيقات الصغيرة ، نبحث عن المركب المناسب . وقد نجحنا بعد بحث في الحصول على مركب طويل وضيق ، وهو

بالقياس يبلغ ثلاثين قدماً طولاً وأربعة أقدام عوارض خشبية عرضاً .
وتقسم مساحة المركب إلى ثلاثة أجزاء تتكون من المقدمة ومنتصف المركب والخلف .

وفي الجزء الأوسط يمكن بالكاد أن يتسع المكان لنوم شخصين جنباً إلى جنب ، وعادة ما يغطى هذا الجزء من المركب بالحصير المحلي الذي يوضع فوق قنطرة ممتدة .

أما وسط القنطرة فيبلغ ارتفاعه أربعة أقدام تقريباً عن قاع المركب . كما أن إطارات القنطرة موضوعة مع فروع جذوع النخيل التي تم تشذيبها .

والحصير الموجود على سطح المركب مصنوع من القصب أو من الشجيرات التي تنمو بوفرة في المستنقعات على جانبي نهر الفرات .
وظهر المركب مغطى بنفس النوع من الحصير ، وفوق ذلك يوضع عليه سجاد من النوع الرخيص .

وفوق كل هذا ، جلسنا أنا وزملائي في الرحلة فوق فراشنا ، بينما وضعنا على طرف الفراش صناديق الثياب والصناديق الأخرى التي قد نحتاجها في الرحلة .

وعند مقدمة الفراش توضع عادة الصناديق والأغراض الأخرى التي ستدعو الحاجة إليها في نهاية الرحلة .

وعلى الطرف الآخر من المركب يجلس الخدم الذين يقومون بمهمة طبخ وإعداد الطعام لنا وللبحارة . وطعام المركب اليومي يتكون





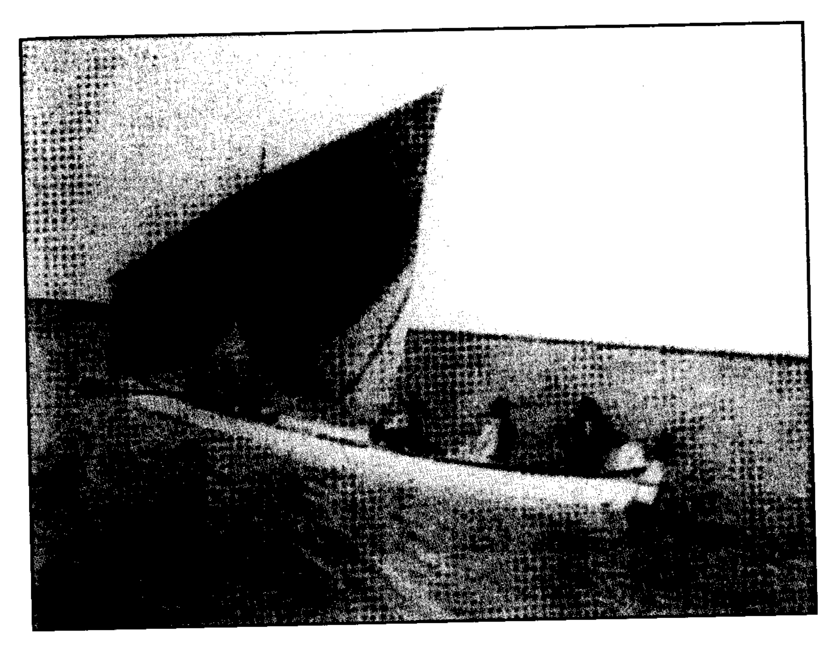
مسجد عند مدخل البصرة

عادة من الأرز والدجاج والبيض ، ونشرب مع هذا الطعام القهوة والشاي .

ويقوم الطباخون بمهمتهم الصعبة على ظهر المركب عبر أدوات هامة . فهم مثلاً يقومون بالتسخين والطبخ بواسطة صندوق مملوء بالصلصال أو من الطين حيث يمكن إشعال النار للطبخ .

وبجانب هؤلاء يتسع المكان في مقدمة المركب للبحارة القليلين ، للأكل والنوم .

ومهمة البحارة الأساسية أثناء الرحلة هي قيامهم خلال اليوم بدفع صواري المركب والاعتناء بالشراع والاهتمام بشئون المركب



قارب رحلات الإرسالية الأمريكية

عموماً وكل ذلك في ساعات النهار ، ففي الليل يرتاح البحارة الثلاثة ويأكلون وينامون .

ولعل ضيق المركب وتناثر الصناديق والفرش في كل مكان في مساحة صغيرة جعلت حركتنا في المركب شبه مستحيلة . فطوال الأيام الخمسة التي قضيناها في الرحلة لم نتمكن من المشي ولو لمسافة صغيرة ، بل كان مجرد الوقوف شيئاً صعباً حيث كان الحصير فوق رؤوسنا .

وهكذا لم نكن نستطيع سوى الجلوس والاستلقاء والنوم طبعاً .





كنت أنا وزملائي نتناول طعامنا ووجباتنا ونحن جالسين على السجادة المتواضعة بينما وضعنا أمامنا صندوق الثياب واعتبرناه طاوله طعام فخمة!

كان طعامنا يتكون من الأرز والدجاج وأحياناً الزبدة التي اشتريناها قبل بدء الرحلة بفترة كافية . ولم يكن الحليب موجوداً إلا بكميات محدودة حيث أحضرنا معنا كمية بسيطة منه كدسناها مع علب الطعام القليلة التي جلبناها في صناديقنا . لكننا لم نجلب معنا أي لحم سواء كان لحم الضأن أو لحم البقر ، فقد كان غير مقبول على الإطلاق أكله في العراق خاصة وأنه يستورد من ولاية شيكاغو الأمريكية في علب حديدية .

أما الخبز فقد كان متوفراً بعض الشيء فقد اشترينا بعض الكميات منه في بداية الرحلة .

كما أن الشاي والقهوة كانت تصنع في الواقع من ماء نهر دجلة العكر وغير النظيف والمملوء بالوحل .

وفي النهاية كان لا يقطع قراءتنا وأحاديثنا وتأملاتنا الماضية من هذه الرحلة إلا الحزن الذي يظهر من دخان النار من موقد الطباخين ليجعلنا نطلق على ما مر بنا ماضياً قد ذهب .

وإلى هذا الحد عشنا حياة بسيطة وجميلة لمدة خمسة أيام على مياه نهر دجلة .

المبشر الأمريكي «إي. مارتين» في بغداد والموصل عام ١٩١١م:

# صيف طويل لا يطاق!

**اشتغل المبشر الأمريكي «إيه .إم . مارتين» لأعوام طويلة بالعمل التبشيري في العراق .**

**ورغم تركز أشغال «مارتين» في مدينة بغداد في بداية القرن العشرين ، إلا أنه كان دائم التجول برحلات تبشيرية في بعض المدن والقرى العراقية .**

**وكتب المبشر «مارتين» عن أعمال التبشير في بغداد والموصل في شهر أكتوبر عام ١٩١١م يقول :**

أنشئت مدينتا بغداد والموصل على نهر دجلة الشهير في الجزء العربي من الإمبراطورية التركية الواسعة ، والتي يطلق عليها عادة المناطق العربية الواقعة تحت الاحتلال التركي .

لقد كان عدد السكان في المدينتين حوالي ٢٠٠ ألف ، وفي إحصائيات أخيرة زاد السكان بـ ٣٠ ألف نسمة ، والأغلبية العظمى من هؤلاء السكان هم مسلمون .

وقد افتتحت الإرسالية الأمريكية في بغداد قبل أكثر من ثلاثين عاماً ، وتعد البعثة الطبية قوتها الرئيسية بلاشك . غير أن الإرسالية تعاني كثيراً اليوم من موت وتقاعد المبشرين . وبسبب الحاجة الكبيرة لهم في هذا المكان فإنه يجري دائماً إغراؤهم بالبقاء ، وعادة ما يسبب لهم ذلك انهياراً صحياً .

والمؤكد أن مدينة بغداد مدينة معروفة جيداً للجميع بحيث أنها لا تحتاج إلى وصف .

وفي الوقت الحاضر فإن الإرسالية في بغداد تتألف من الطبيب جونسون وزوجته ، والطبيب ستانلي والطبيبة إليانور هيل ، والممرضة أندريستون وبونير التي التحقت لتوها بالعمل في شهر فبراير الماضي .

ولا جدال في أن الإرسالية تعاني ضعفاً على الجانب التبشيري . فلا يوجد أحد من الأطباء القدامى ظل مدة كافية في العراق ليتمكن من إتقان اللغة العربية ، باستثناء الطبيب جونسون وزوجته . بل إن المشكلة صارت أيضاً في صعوبة الحصول على عراقي ترتاح الإرسالية إليه .

وعلى صعيد مباني الإرسالية فالأوضاع فيها أفضل نوعاً ما . فقد تم مؤخراً شراء قطعة أرض في بغداد من أجل بناء المستشفى وبيوت العاملين في الحقل الطبي . ومن المؤكد أن هذا العمل سيستمر بمجرد جمع المال المطلوب لذلك .

ولعل الأسباب التي دعت الإرسالية إلى الإسراع في تشييد مبانٍ خاصة بها تبدو مقنعة جداً . فالمباني التي تمارس فيها الإرسالية أعمالها حالياً بائسة وفي أوضاع صعبة جداً . فالبيت الذي نستأجره حالياً للمستشفى مثلاً يقع في وسط شارع ضيق جداً ومحاط بأبنية وبيوت كثيرة ملاصقة له . ويسبب هذا الأمر صعوبات بالنسبة للمرضى والعاملين ، بل إن البيت بوضعه الحالي يحدث ضغطاً شديداً على قوتهم وطاقتهم في العمل .

ويزيد الحر كثيراً من صعوبات عملنا ، ففصل الصيف في بغداد





تلميذات في مدرسة الموصل

والعراق عموماً يزيد على ستة شهور . وبسبب هذا الحر فإن جولاتنا وأسفارنا تصبح مستحيلة طوال تلك الأشهر . وليس أمامنا سوى انتظار نهاية شهر سبتمبر حيث يضع الحر أوزاره .

ومع حر بغداد اللاهب يوجد عندنا طلاب مدرسة الإرسالية الطيبون الذين يبلغ عددهم حوالي ثمانين تلميذاً ، علاوة على تجمع بروتستانتي صغير .

وإذا تركنا بغداد وحرها الذي لا يطاق ، فهناك مدينة الموصل شمال العراق ، وهي تقع على الضفة المعاكسة لنهر دجلة حيث المدينة القديمة نينوى ، كما أن مناخها نوعاً ما أفضل من بغداد . ففصل الصيف في الموصل ليس طويلاً جداً مثل بغداد ، كما أن بالإمكان

ـ في حالة الحرارة الشديدة ـ الالتجاء والرحيل إلى الجبال الكردية ذات المناخ البارد لاتقاء مآسي الحر . لكن ذلك يعني ضمنياً القيام برحلة متعبة لمدة ثلاثة أيام تحت شروط مرهقة وشاقة من السفر . وحتى الرحلة من بغداد إلى الموصل أو العكس في وسيلة مائية فإنها ستأخذ أياماً طويلة وأوقاتاً شاقة تعتمد فيها علي الرياح والمناخ .

وفي مدينة الموصل فإن عمل الإرسالية تم استئنافه قبل إحدى عشرة سنة بعد رحيل أعضاء الكنائس الحرة الأمريكية عنها . ويشمل عمل الإرسالية اليوم بعثة طبية ومدارس للأولاد والبنات .

أما مكتبة التبشير الواقعة في شارع مزدحم بالموصل ، فقد كان المسئول عنها رجل عمره ما بين الستين والسبعين عاماً ويلبس عادة ثياباً شرقية فضفاضة .

ومكتبة التبشير في الموصل تلاقي إقبالاً جيداً . وجميع من يقصدونها هم من العرب والأتراك والأكراد والنسطوريين ، ويتم الترحيب بهم بنفس لغتهم .

وعادة ما يأتي المسلمون إلى المحل ليس للشراء ولكن لقراءة الكتب المسيحية وخاصة الكتاب المقدس ، وهم عادة يأتون خفية مبتعدين عن العيون الفضولية والمراقبة المريبة من قبل أسرهم وأصدقائهم .

وبسبب انتشار التعليم فإن القراء يزدادون هنا . وقد أصبحت للصحف قوة في هذه البلاد ، ويجب علينا استخدامها لنشر الآداب





أكراد يحتشدون أمام بائع كتب مسيحية

والثقافة المسيحية .

إن مصادر تزويدنا الرئيسية بالمطبوعات المسيحية تأتي من مطابعنا في القاهرة وبيروت .

وإذا أعطانا الله الوسيلة والقوة ، فإنه يجب علينا أن نقيم غرفة مطالعة ومكتبة لإعارة الكتب ، لأن المحل صغير جداً ولا يتسع لزائرين كثيرين .

وفي الماضي لم نكن نجرؤ على توزيع الكراسات المسيحية خارج المحل ، ولكن مع مجئ النظام الجديد في تركيا فإن أشياء كثيرة تغيرت وأصبحت لا توجد الآن أية عوائق في نشر الثقافة والآداب المسيحية .

إننا ندعو ونصلي لهؤلاء العاملين الذين يوزعون كتب المسيح ولهؤلاء الذين يقرأونها ونقول : ربنا احفظ وبارك زرعنا في الجذور .

وعلى صعيد العمل الطبي هنا ، فقد توقف هذا العمل للأسف بسبب غياب كل الأطباء الإنكليز . تلاميذ المدرسة أيضاً يحتاجون إلى دعم أقوى ، فالمدرسة الابتدائية الحالية لم يتم توسعتها ، ولكن المدرسة الثانوية تم افتتاحها بالمقابل .

وبينما جميع الطبقات في الموصل تبحث عن التعليم ، فهناك فرصة معروضة لنا ربما لن تحدث مرة أخرى ، حيث علينا استغلال بعض الأمكنة في افتتاح مدارس مسيحية جديدة وجيدة . فهذه الأماكن الموجودة سيتم أخذها بالتأكيد من أولئك المعادين للتبشير والمسيحية .

وفي مدرسة البنات فإن أعداد التلميذات تتراوح ما بين مائة إلى مائة وخمسين فتاة . وحوالي ثلث الفتيات هن من المسلمات .

إننا نحاول في الوقت الحاضر تلبية كل الحاجات التعليمية للإناث هنا . ولعل الأكثر أهمية هو توفير مدرسين مسيحيين ومدرَّبين جيداً .

ومن المؤكد القول بأن الحاجة العظيمة للعمال المحليين والأجانب معاً لن تنتهي بالنسبة لنا فهم الذين سيضعون مبادئ المسيحية على الأرض ويثبتون الإخلاص للمسيح والمسيحية .





## المبشر الأمريكي «أدوين. كاليفري» يبشر في العمارة عام ١٩١١م:

# تبشير تطارده المشكلات واللعنات!

**انتهى الاجتماع الدوري للإرسالية الأمريكية الذي عقد في شهر نوفمبر من عام ١٩١٠م بالبحرين بقرار هام وهو اعتبار مدينة العمارة سادس محطة نظامية للإرسالية في العراق . كما تم تعيين مبشر للإقامة في المدينة والتبشير بين أهلها .**

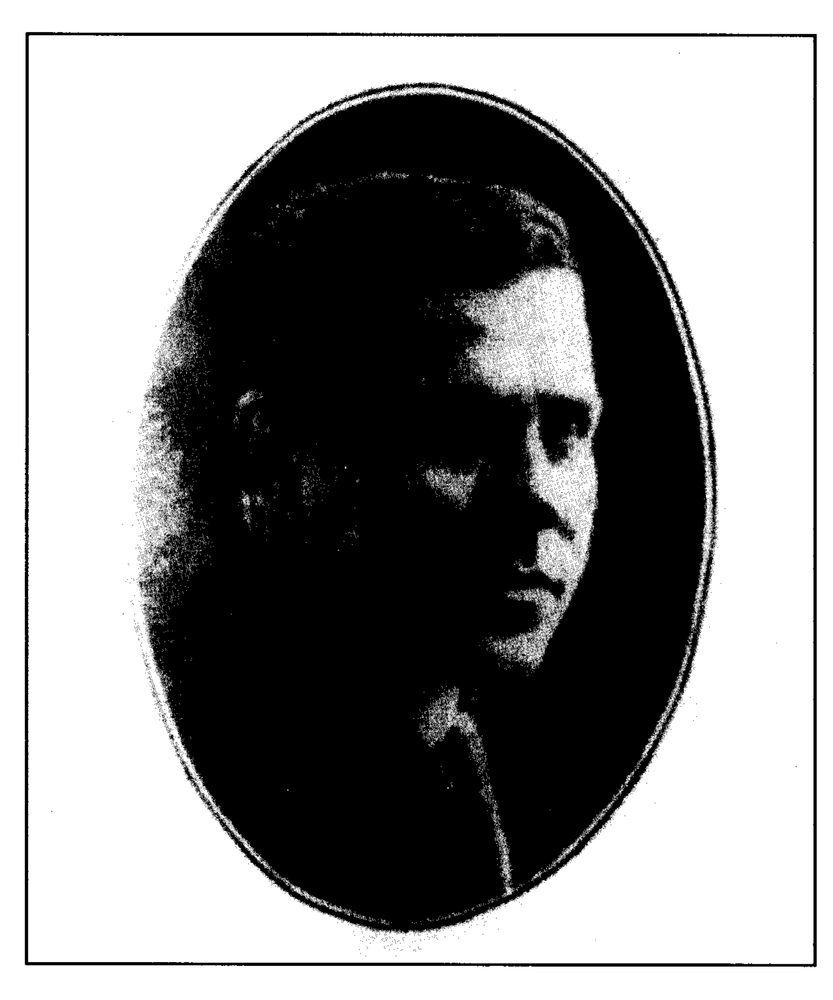
**ولم يكد ينتهي الاجتماع حتى كان المبشر الأمريكي المعروف «أدوين . كاليفري» يحزم أمتعته في مدينة البصرة ويبدأ رحلة إلى العمارة في بداية عام ١٩١١م . كتب عنها يقول :**

تقع مدينة العمارة على الضفة الغربية لنهر دجلة الشهير ، ويمكن الوصول إلى المدينة عبر رحلة تمتد عدة أيام بواسطة مركب بخاري من مدينة البصرة .

ويعد السفر النهري في الوقت الحالي أفضل طريقة للذهاب إلى الناصرية عبر الفرات فهي السبيل الأفضل والطريق المنتظم للسفن والمراكب البخارية التي تُجري المواصلات المناسبة بين المدينتين العمارة والبصرة .

لقد تأسست العمارة عام ١٨٦١م كمرفأ معد لتزويد السفن بالفحم الحجري ، ثم نمت المدينة تدريجياً وأصبحت مركزاً تجارياً نشطاً .

وتقع المدينة في وسط حدائق من النخيل وحقول من القمح



المبشر أدوين كاليفري

والحبوب الأخرى . وعدد سكان المدينة كان في عام ١٨٩٥م قد وصل إلى ٩٫٥٠٠ شخص . وكان من بينهم حوالي ألف شخص من طائفة الصابئة و٦٠٠ شخص من الكاثوليك الكلدانيين والأمريكان واللاتين .

وفي الوقت الحاضر لا يوجد سوى عشرين عائلة مسيحية هنا هم أعضاء الإرسالية البروتستانت .

كما أن العرب والفرس والموظفين والجنود الأتراك يشكلون غالبية سكان العمارة . ولكن الصابئة المعروفين بأنهم يعبدون النهرين ليسوا أقل أهمية .

وهؤلاء مشهورون بسبب ديانتهم المركبة وبسبب مهارتهم في أعمال الذهب والفضة ، وديانة الصابئة هي مزيج من الزرادشتية واليهودية والمسيحية .

ولعل صعوبة إقناع السكان الصابئة بترك دينهم تشبه بالضبط صعوبة الحصول منهم على أسرار العمل في الفضيات!

وقد أرست الإرسالية علاقات قوية مع أهالي مدينة العمارة منذ الأيام الأولى . فقد انتبه الدكتور جيمس كانتين بعناية إلى هذا المكان عندما قام برحلة مبكرة إليها من بغداد عام ١٨٩٢م ثم أرسل إلى المدينة في صيف العام الذي تلاه موزعاً للكتب ومعه نسخ من الكتب المقدسة .

وفي تقرير للإرسالية بتاريخ ١ من شهر يناير من عام ١٨٩٤م

اقترح الدكتور كانتين مدينة العمارة كمكان يمكن لموزع كتب جيد أن يستفيد منه لبعض الوقت للتبشير وفي فتح مكتبة لبيع الكتب المقدسة وتهيئته كطريق لمبشرين آخرين .

وبالرغم من أن تلك الأفكار والمشاريع لم تنفذ كاملة إلا في العام الماضي ، إلا أنها كانت من أفضل الاقتراحات للتبشير ولبيع الكتب المقدسة والتي أدت إلى توسعة عملنا في المدينة وجعلتنا على اتصال بالناس هنا .

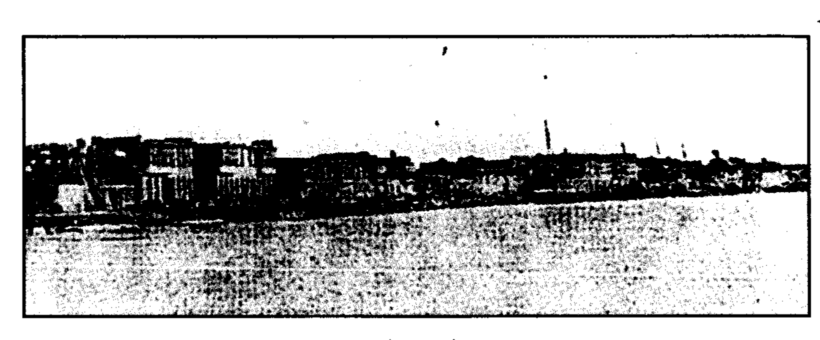
وفي عام ١٨٩٥م افتتحنا مكتبة التبشير في العمارة بدون معارضة في البداية ، ولكنها أغلقت فيما بعد وتم بيعها من قبل الحكومة التركية عندما سرت شائعات حول أن «البروتستانت ينوون تثبيت أنفسهم هنا بصورة دائمة»! ولكن تم إعادة افتتاح المكتبة بعد تدخل عاجل من القنصلية الأمريكية في بغداد ، كما عادت الكتب التي احتجزت سابقاً في مبنى الجمارك ، وتم بيع ١٢٢ كتاباً في الثلاثة الأشهر الثلاثة التي تلت ذلك .

وبالطبع فإن عمل الإرسالية في مدينة العمارة يواجهه الكثير من العقبات والصعوبات .

وفي عام ١٨٩٦م غادر موزع الكتب العمارة بسبب القبض عليه أثناء الصلاة والتحقيق معه والتهديد بسجنه كما أمر موزع كتب آخر بمغادرة المدينة بسبب سوء سلوكه .

وفي عام ١٩٠٣م احترقت مكتبتنا ودمرت بالكامل وكانت تحتوي





منظر من العمارة

وقتها على حوالي ٤٠٠ نسخة من الكتاب المقدس وبعض الكتب التعليمية وذلك ضمن حريق ضخم دمر أكثر من ١٦٥ دكاناً في سوق العمارة .

كانت الخسارة الكبرى لمكتبة التبشير المحترقة تكمن في أنها رعت عدداً كبيراً ومتنوعاً من موزعي الكتب المسيحية في المنطقة .

فواحد من هؤلاء الموزعين كان لديه المقدرة لوحدة على إقناع ثمانية أو ربما أكثر من المسلمين بالحضور للصلاة المسيحية اليومية معه .

وفي الوقت نفسه ، كان أطباء الإرسالية في العمارة يقومون بمزاولة أعمال التطبيب في المستوصف ، واستطاعوا بواسطة ذلك الحصول على متنصرين جدد معتنقين للمسيحية ، وكسب العديد من الأصدقاء في العمارة لمصالح الإرسالية .

غير أنه عندما تظهر دلائل نجاح التبشير والتنصير فإن المضايقات تلاحقنا بعدها .

فقد تم طرد أحد المتنصرين من المدينة مع عائلته التي اضطرت للسفر والعيش كلاجئين عند الإرسالية في البحرين ، وهناك تم تعميد الأطفال وعاشوا في البحرين كمعتنقين للمسيحية حتى وفاتهم .

وفي حالة أخرى فإن أحد المتنصرين الذي كان قد سمح له بإقامة صلواته المسيحية بينما هو يعمل في مزارع النخيل اتهم مراراً بأنه مسيحي «كافر» ، وتم ضربه عدة مرات على رأسه وجسمه .

وهناك متنصر ثالث تنصر ويخدم المسيحية كموزع للكتب المقدسة وتابع للإرسالية ويواجه مشكلات .

ومن المؤكد أن النجاح الكبير لنا تشهد عليه مدينة العمارة . غير أن المسلمين ينظرون إلينا بريبة وشك عظيمين وحيال دور الإرسالية ، ولكن الحياة المؤمنة وتعاليم المسيح تعطينا صداقات مثمرة والنتائج الأعظم ستكون متوقعة .





## المبشر الأمريكي «جيمس كانتين» في بغداد عام ١٩٢٤م:

# تغيرات كثيرة بانتظارنا!

لم يترك المبشر الأمريكي الشهير وأحد زعماء الإرسالية الأمريكية «جيمس كانتين» مدينة في منطقة الخليج والجزيرة إلا وزارها وتعرف على أحوال أهلها . فمنذ عام ١٨٩٢م و«كانتين» ورفيقه «صموئيل زويمر» في رحلات تبشيرية لا تهدأ ، تستكشف أحياناً وتوزع كراريس المسيحية أحياناً أخرى وتعقد صفقات واجتماعات هنا وهناك .

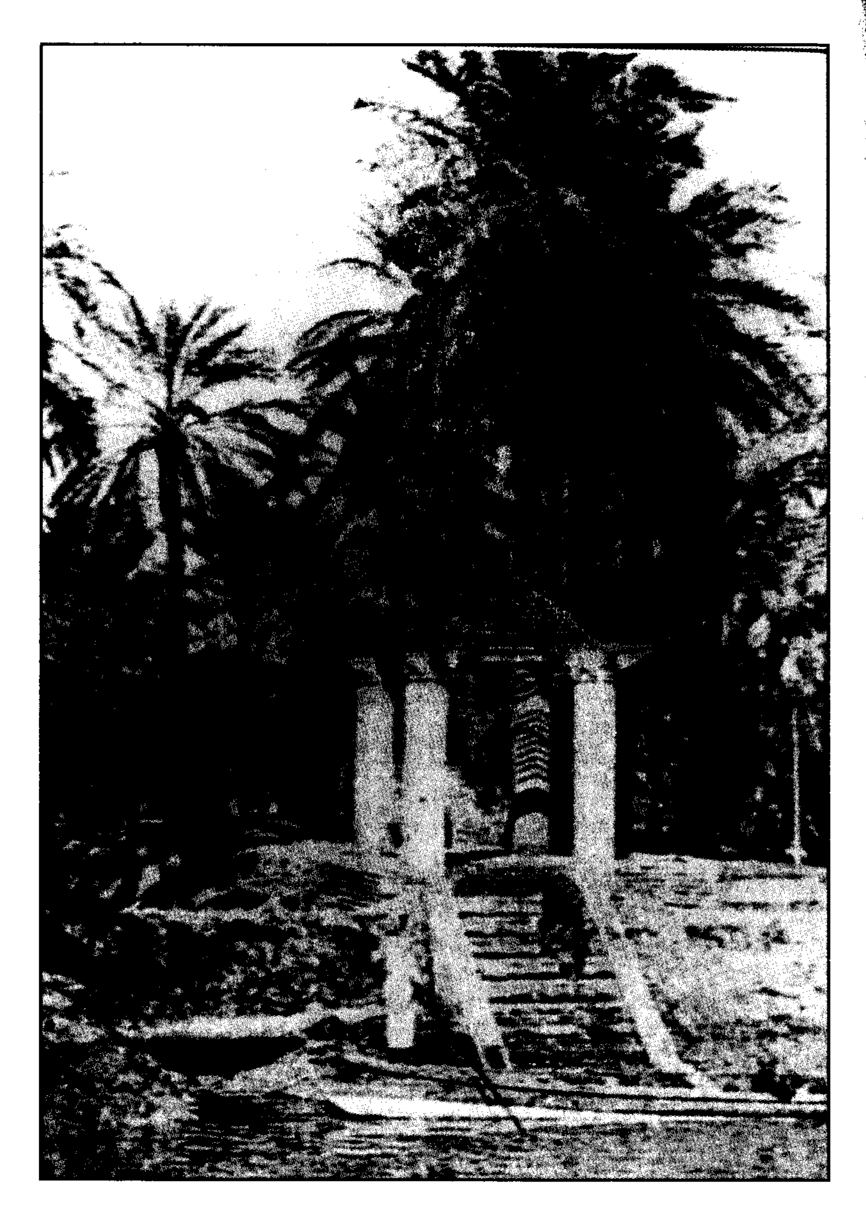
ولكن مع بداية العشرينيات من القرن العشرين استقر «كانتين» لبعض الوقت في العراق .

وفي شهر يونيو ١٩٢٤م كتب عن التغيرات التي حدثت في العاصمة بغداد خلال السنوات القليلة الماضية ، فقال :

لعل الإجابة على السؤال التقليدي : هل لاحظت أية تغيرات في بغداد منذ عودتك من الإجازة؟ ستكون بلاشك هي بداية جديدة لهذه الرسالة .

ولعل أول المسائل التي تخطر على البال بالنسبة للقادم الجديد هي توفر المزيد من بيوت السكن ، وأن الإيجارات أصبحت نتيجة لذلك أرخص .

إنني أتذكر مدى تعبي الشديد والمشقة الكبيرة التي كنت أبذلها أثناء البحث عن بيت مناسب عندما جئت للإقامة لأول مرة في بغداد ، عندما أتذكر ذلك فالإنسان يشكر الله لسماعه أن بيتاً جيداً



مدخل مستشفى الإرسالية في البصرة

يقع على النهر ، وفي موقع جيد وسط المدينة يؤجر الآن بسعر ثلاثين سنتاً وهو أقل سعر منذ عام ١٩٢٠م .

وربما يكون هذا بسبب الواقع السياسي الجديد ، فالكثيرون من طبقة المسئولين الإنكليز يعيشون الآن خارج المدينة وفي بيوت بنيت حديثاً . أيضاً مما يدعو للأسف أن يترك الكساد في الأعمال جميع الساكنين ينفقون أموالهم على أي هدف أو غاية .

وهذا الكساد ربما يفسر بواسطة التأثير المتوقع للحرب العالمية الماضية ، وأيضاً للحالة السياسية غير المستقرة في العراق . وهذه ربما تشجع على مشاريع ومبادرات جديدة عندما يتم الانسحاب التدريجي للقوات الأجنبية العسكرية ، والتي تسحب معها الإنفاق المحلي الكبير الذي تقوم به .

ولكنني لا أدري لماذا لا يستطيع الإنسان توقع نمو الازدهار في العراق رغم أنه يمكن ذلك عن طريق تنظيم مفيد لمسائل مثل إقامة علاقات ثابتة بين العراق وبين بريطانيا وبقية دول العالم وتحكيم الخلاف مع تركيا التي تحتل الموصل المدينة الرئيسية في الشمال التي توجد بها حقول النفط الغنية .

وفي الواقع يوجد هناك الكثير من الحقائق والأدلة التي يمكن أن تساعد على هذا الإنجاز .

وواحدة من هذه الأشياء هي توسعة السكك الحديدية في العراق ، فهناك خط سكة حديد فرعي بني مؤخراً إلى كربلاء

سيشجع على إقبال أهالي فارس سلفاً على الحج إلى هناك .

وخط آخر إلى كركوك يمكن أن يكون شريطاً خصباً ومزدحماً على طرق الشمال الشرقي على الحدود الفارسية .

وبعدها يمكن أن يكون هناك نمو تدريجي للمناطق المروية على طول النهر والقنوات ومحاولات متواصلة من جانب الحكومة لتحسين نوعية وإنتاج القطن والحبوب . وهذا الشيء يقود بالطبع إلى تحسين مستوى المعيشة الذي سينقل الناس حتماً إلى الحياة العصرية ، والذي لا يمكن أن يتم إلا بالصناعة الثقيلة ويحقق تغيراً كبيراً بعد قرون من الكسل والبلادة وعدم المبالاة .

وعودة للمسائل السياسية ، فإنه من المؤكد أن الناس صاروا يتحدثون عن هذه القضايا أكثر بكثير عما كان عندما كنت موجوداً معهم قبل سنوات . والواقع أنني كنت أشارك العراقيين في التعليق على الأحداث السياسية فقط ، فلم تكن لدي رغبة أكثر من ذلك .

فمن ناحية فقد كنت غير مهتم كثيراً بالسياسة المحلية ، وثانياً لأنني أعتقد بأن تدخل السياسة سيكون عملاً غير مفيد بالنسبة لنجاح العمل التبشيري الخاص بالإرسالية الأمريكية في العراق .

وبالعودة إلى تلك الأشياء الأكثر حيوية وأهمية للإرسالية ، فإنه يمكنني أن أقول أن هناك تغيراً في وجهه نظر الإسلام العامة . ويمكن أن أقول أيضاً أن هذا من وجهة نظري الخاصة . فالعرب هم أساساً أمة متدينة . ومهما يكن القول عن الأتراك أو غيرهم ، فإن مشاعر وعقول





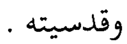
المبشر جيمس كانتين .

العرب لا تسمح لهم بأن يكونوا ملحدين أبداً .

ولكن يبدو أنني سأغير هذا الرأي الذي اقتنعت به لفترة طويلة ، فمن المحزن سماع أن بعض أصدقائي المسلمين فجعوا على حقيقة أن أبناءهم كبروا بدون أيمان بالله .

وفي بغداد اعتاد زوار على طرق بابي ، فواحد منهم هو شخص لطيف وكبير في السن . ويتذكر اهتمامه بنا منذ معرفتي لبيتر زويمر في مسقط قبل عشرين سنة . وآخر كان قد وضع في السجن قبل عشرين سنة بسبب زيارته للإرسالية هنا في بغداد .

وهذا الرجل كان يحب دائماً التحدث عن المسيح وعن إنسانيته



وقدسيته .

وهناك شابان حيويان يكرسان دراستهما للإنجيل معي حتى ابتعدا عنا بسبب البحث عن الرزق ، فذهب الأول قرب الحدود الفارسية والآخر إلى مدن الفرات .

وفي لقائي مع هؤلاء الناس أحاول تركيز اهتماماتهم على حياة ودراسة المسيح كما هو في الإنجيل ، فيوسف بقي مخلصاً في عمله ، ووظيفته أعطته يومين أو ثلاثة من الراحة كل أسبوع ، وقد طلب مني إذا كان ذلك ممكناً الذهاب إلى الأقاليم المحيطة لبيع الكراريس التي وجد لدينا كمية كبيرة منها بفضل مجلس الإرسالية .

ومن أجل هذا قمت بدفع نفقة سفره فقط . وقام الشاب بتنفيذ رحلاته الصغيرة أسبوعاً بعد آخر مستفيداً في معظمها من الباصات بين المدن التي تم تشغيلها بشكل جيد في الوقت الحاضر .

وفي هذه الرحلات قام يوسف ببيع مئات من الكراريس التي تتحدث عن حياة المسيح . وقد تحدث عن حالات مواجهة حدثت له عندما زار مدينة كربلاء ، ففي تلك المدينة لقبه بعض الناس «الكافر» وتم ضربه ، وكنت أتوقع أن يحدث له أسوأ من ذلك . وفي حادث آخر وقع له بالقرب من بغداد تم توقيف الباص من بعض رجال القبائل وتم أخذ كل شيء من المسافرين وكان التبرير الذي أعطاه اللصوص أن الإنكليز تركوا بغداد وبالتالي فإنه لا يوجد قانون .

وفي حالات أخري وجدنا أنفسنا أمام رجلين أحدهما عربي





جسر عائم في بغداد

والآخر فارسي ، وكان الرجلان كلاهما يحتلان مرتبة رفيعة ومتعلمين ، لقد جاء الاثنان وقالا بأن المسيحية لديهما متفوقة على الإسلام ، وإنهما يرغبان في مساعدتنا لهم بالسفر لبعض البلدان حيث يمكن الحصول على بعض الحرية!

وفي الأيام الأخيرة كان هناك عنصر جديد في عملنا وهو اتصالنا مع اليهود ، فقد جاء بعض الرجال لأخذ بعض النصائح مثل كيف يصبحون مسيحيين ، وبسبب أنهم لا يمتلكون سوى تحقيق هذه الرغبة فقد أوضحت لهم الأنظمة والقوانين التي تطبقها الحكومة حول تلك المسائل .

ومن أجل ذلك طلبت الإرسالية من إحدى الجاليات الإنكليزية هنا الاستعانة برجل مبشر يعمل مع اليهود . وردوا علينا بأنهم لا يستطيعون ولكنهم مستعدون لإعطائنا منحة صغيرة .

وبخصوص أعضاء الإرسالية في بغداد فقد تم تنظيم اجتماعات هامة في هذه الفترة على مرحلتين الأولي كانت المؤتمر الديني الأول للعاملين في الأراضي الإسلامية . أما الثاني فكان الاجتماع الدوري الأول لإرساليتنا .



## المبشر الأمريكي «البرت. أدوارس» في مدينة الحلة عام ١٩٢٦م:

# مقاهٍ تشرب الشاي وتقرأ الإنجيل!

**في بدايات عـــام ١٩٢٦م وصل إلى مـــدينة «الحلة» بجنوب العـراق المبـشـر الأمـريكي «إلبـرت . ج . أدوارس» عضو الإرسالية التبشيرية المتحدة الأمريكية .**

**ولم تمض أيام على تواجده في المدينة حتى اكتشف أن مقاهي الحلة الكثيرة الممتلئة بالرواد والمشبعة بروائح الهال والقهوة ، هي أفضل مكان للقيام بالتبشير المسيحي!**

**وكتب عن تلك التجـربة لمجلة الإرسالية الأمريكية في شهر أبريل عام ١٩٢٩م يقول :**

في كل صباح آخذ مقعدي المعتاد على كرسي أحد مقاهي مدينة «الحلة» . وما هي إلا دقائق حتى تبدأ مناداة الرواد وأسئلتهم :

ـ أوه . . صاحب حقيبة الكتب . . ماذا تقرأ؟

ـ هل هو بالعربية؟

ـ دعني أقرأ . .

وبينما تنهمر علينا الأسئلة الفضولية يبدأ زميلي موزع الكتب في توزيع بعض الكتب والكراريس ، التي يأخذها بعض الرواد ويبدأون في التصفح والقراءة .

ولا تمضي فترة قصيرة ، حتي يبدو هذا المشهد في المقهى مثيراً للاهتمام والإعجاب من بقية الرواد الذين يأتون إلينا ويطلبون الكتب .

هذا المشهد هو خلاصة طريقة التبشير الذي نقوم به في مقاهي مدينة الحلة ، فخلال الأسابيع الأولى لنا في بداية عام ١٩٢٩م كان

الكثيرون يجيئون إلى بيتنا للاجتماع وللقراءة ، ولقد أعطتنا هذه الزيارات فرصة لإجراء مناقشات وأحاديث مثيرة للاهتمام ، ويتم خلالها قراءة الإنجيل .

لكن سرعان ما قام زعماء الدين الشيعة بالمدينة بمنع الناس من زيارتنا . ثم صار بيتنا مع الوقت مقاطعاً تماماً ، والزوار كانوا خائفين من المجيء . عندها سألنا أنفسنا : ماذا يجب أن نعمل؟ أجبنا إذا كان العربي لن يأتي لسماع الإنجيل ، فإن الإنجيل يجب أن يصل إلى العربي في مكانه .

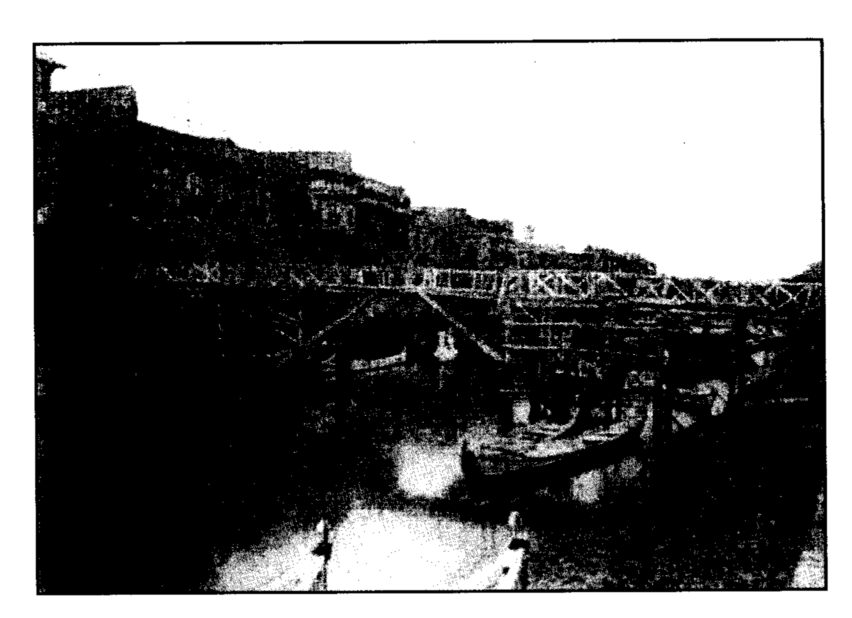
وبالفعل قمت ومعي المبشر العراقي «ميشيل» وأخذنا حقائب الكتب وبعض الكراريس وذهبنا إلى الأسواق ، وأعطينا الكراريس لبعض المارة الذين بدوا وكأنهم يريدونها وقمنا أيضاً ببيع كتب كثيرة .

وعندما ذهبنا إلى أسواق «الحلة» وجدنا فرصاً كثيرة للمناقشات والأحاديث الدينية ، ولكننا لاحظنا أن الكثير من الناس يتجمعون دائماً في المقاهي فقلنا لماذا لا نذهب إلى حيث يشربون القهوة والشاي!

وهناك وجدنا أن الرب كان هناك ويفتح لنا الباب للتبشير بالمسيحية!

من المؤكد أن المقهى يؤدي وظيفة هامة في حياة العرب وخصوصاً في العراق . كما أنه يظهر منذ الوهلة الأولى بأنه مكان تسكع للعاطلين والكسولين ، سواء كان هؤلاء العاطلون مضطرين أم لا .





جسر في البصرة

لكن على العموم يوجد الكثير منهم في العراق ، سواء كان ذلك باختيارهم أم لا .

فالمقهى هو المكان العربي الرئيس للتسلية ، فبعد أن ينتهي العربي من عمله يذهب إلى المقهى بدلاً من الذهاب إلى بيته . ويقضي الناس في المقهى ساعات مع طاولة النرد والشطرنج وحجر الداما والورق ، أو يجلسون ويشاهدون ويراقبون المارة أو يستمعون إلى أغاني الفونغراف .

كما أن المقهى أيضاً مكان لتبادل الأخبار والأحاديث أي أنه نادي المناظرة بالنسبة للعرب .

وبجانب ذلك فإنه يقوم بالخدمة مثل المجلس أي مكان للضيافة بالنسبة لكثير من الرجال ، حيث إن الكثير منهم يعيشون في بيوت صغيرة جداً وفي مكان منعزل عن نسائهم ، وهذا يجعل من المستحيل بالنسبة إليهم استقبال الضيوف في المنزل ، أخيراً فإن المقهى هو أيضاً مكان للعمل حيث تعقد فيه الكثير من الصفقات المهمة والمباحثات وتوقع الكثير من الوثائق الهامة .

هنا إذاً حقل مثالي للعمل التبشيري ، كما أن ميزاته بدأت تظهر أكثر وأكثر بالنسبة لنا عندما بدأنا العمل فيه . فهنا يمكن أن تقابل العربي بشكل غير رسمي ويظهر كما هو على الحقيقة . وفي المقهى أيضاً يمكن تقديم إنجيل المسيح إلى جميع فئات وطبقات الرجال التي تأتي بانتظام إلى المقهى .

وهنا فالناس قلما يكونون مشغولين ، وهم مثل أهالي أثينا حذرون عندما سماع أو رواية بعض الأشياء الجديدة .

وهناك الكثير من الرواد يشعرون بالوحدة رغم كثرة الموجودين من الجمهور ، ولذلك فهم يريدون قراءة أي شيء أو التحدث مع أي شخص .

وعموماً فإن الضيافة العربية هي عامل آخر تجعل المقهى مكاناً مثالياً لعملنا ، فنحن تقريباً يتم الترحيب بنا في كل مكان .

ومن بين الكثير من المقاهي التي زرناها في المدينة لم يتم رفض جلوسنا سوى في مقهى واحد فقط ، أما في باقي المقاهي فقد تم تقديم





رواد مقهى عراقي في الحلة

الخدمة لنا بشكل طبيعي .

غير أنه في وسط طائفة الشيعة فإن أكوابنا تأخذ طريقها إلى النهر بعد أن ننتهي من شرب الشاي ، أو تغسّل بشكل غير اعتيادي للتخلص من «النجاسة» التي سببناها لهم ، ورغم تلك المعاملة فإننا كنا نقابل بالترحاب!

وعندما يجلس المرء في المقهى ويقدَّم له ما يطلبه من مشروبات فإن سؤالنا عادة ما يكون : كيف يمكن أن نوزع الكتب والكراريس؟ في العادة فإننا نجد أن الجلوس بهدوء والقراءة بصمت يكفيان لإثارة حركة الفضول لدى العربي ، فهو يريد أن يعرف ماذا يقرأ هذا الأجنبي .

وفي بعض الأحيان نجلس أنا وبائع الكتب مع بعضنا في المقهى ويقوم واحد منا بالقراءة للآخر . وقبل مدة وجدنا بعض الرواد يتنصتون علينا ويسترقون السمع . فقد جاء إليَ حمال يحمل البضائع في السوق وكان لا يستطيع القراءة ، وقال إنه يريد الاستماع إلى حكايات الإنجيل . ثم جاء ليشتري كتاب الإنجيل لكي يقوم أصدقاؤه بقراءته له في المساء .

وهذا الرجل عندما يجدني في المقهى يود أن يدعوني لقراءة بعض الحكايات من الإنجيل .

وقد قمنا بنفس طريقة القراءة للآخرين في مدينة مجاورة ، واستطعنا حشد أكثر من ستين شخصاً راحوا يستمعون إلينا ونحن نروى عليهم قصص وفصول الإنجيل .

وكل الكتب المسيحية التي نستعملها ونوزعها ونبيعها يأتي معظمها من مطبعة إرسالية النيل في القاهرة ، وطباعتها جيدة ووجدنا أنها تثير اهتمام وفضول الناس هنا .

وكتاب مثل «قصة الأنبياء» الذي طبع من قبل المطبعة كان عبارة عن كراسة من ثمانين صفحة وبه قصص مبسطة ، وتدل على حاجة البشر إلى المنقذ . . المسيح!

يبقى السؤال في النهاية هو : ما هي النتائج التي حصلنا عليها من هذا النوع من العمل؟ إن البذور قد نمت في جميع أنحاء مدينة الحلة . كما أن أكثر من عشرين ألف كتاب وكراسة تم توزيعها ، والكثيرون عرفوا عن دعوة السيد المسيح وماذا يريد من الناس أن يفعلوا في حياتهم .

وقد قام ملا عراقي وهو مدرس وقارئ ممتاز في موضوعات الإسلام بسماع رسالتنا التبشيرية في مقهى بمدينة مجاورة . وقام باللحاق بنا إلى الحلة ، ثم اعتاد مع الوقت على المجئ للقراءة والتدريس .

وفي أحد الأيام طلب منا بعد تفكير له طويل أن يعتنق المسيحية ويُعَمَّد بسرعة ، لأنه رجل كبير في السن!

المبشرة الأمريكية «سوانتينا يونغ» تدير مدرسة البصرة للبنات عام ١٩٢٩م:

# فتيات يعزفن البيانو.. ويسمعن حكايات ألف ليلة وليلة!

بجانب أعمال التبشير في بعض مدن جنوب العراق عملت المبشرة الأمريكية «سوانتينا دى يونغ» في حقل التعليم فقد أدارت مدرسة البصرة للبنات التابعة للإرسالية الأمريكية لبعض الوقت عند نهاية العشرينيات من القرن العشرين .

وفي مقال كتبته في مجلة الإرسالية الأمريكية في شهر أبريل ١٩٢٩م تروي المبشرة «سوانتينا» تجربتها في مدرسة البصرة للبنات فتقول :

هناك تغيرات سريعة تأخذ مكانها اليوم في العالم الإسلامي . وليس أقل منها تلك التغيرات نحو الموقف بالنسبة لتعليم المرأة . ففي هذه المسألة تقع واحدة من أعظم الآمال بالنسبة للمستقبل .

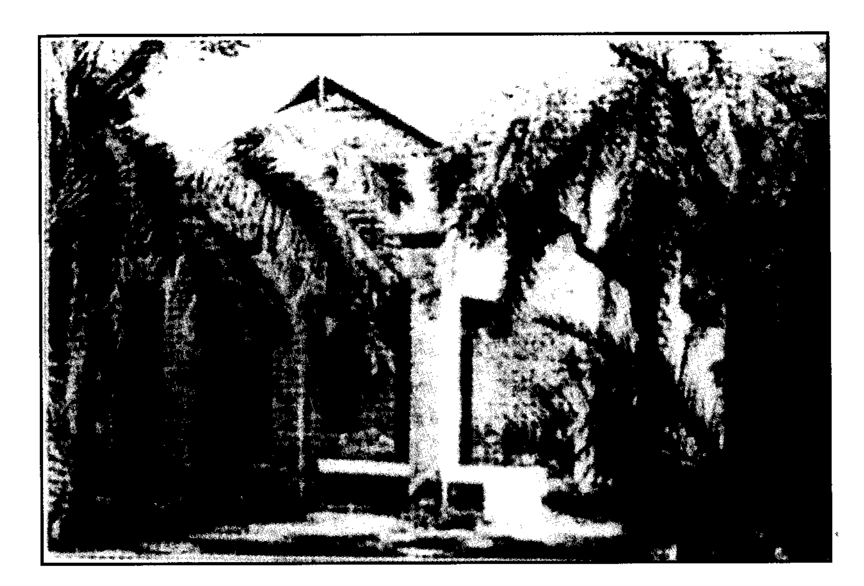
فعندما تكون أمهات البلاد أميات وجاهلات ويؤمنَّ بالخرافات فأي تغير يمكن أن ينبني أو يحدث للعائلات وللمجتمع عموماً؟!

وحتى ولو كان الرجال متعلمين جداً فأي نفع يمكن أن نحصل عليه .

وخلال السنوات القليلة الماضية ومنذ ذلك الحين راحت الحكومة هنا بافتتاح المدارس بكثرة في العراق . وقد كانت هناك معارضة قوية لمدارس الإرسالية ، فنحن هنا بالطبع مذنبون في كل شيء!

ورغم ذلك فإن لا يوجد لدينا شعور ودي نحو هؤلاء المعارضين .

ولكن إجمالاً فإن ذلك يعد شيئاً مفرحاً جداً خاصة حين نرى



كنيسة الإرسالية الأمريكية في البصرة

الكثير من الفتيات وهن يأخذن حقهن في التعليم حتى ولو لم يكن في مدارسنا . وكل هذه الأشياء تعطينا تشجيعاً كبيراً ، وبدايات أمل كبيرة لمستقبل هذه البلاد وتطور مجتمعها .

وقد بدأ الرجال يدركون ذلك أيضاً ، فقد كان هناك دليل على ذلك في الخطب التي تم إلقاؤها هذا العام في المدارس عبر مناسبات مختلفة ، وكانت هناك تساؤلات طرحت مثل : كيف نأمل في بناء بيوت حقيقية في العراق إذا بقيت النساء جاهلات؟ وإذا كانت الأم هي مدرسة الطفل الأولى وهي لا تزال تؤمن بالخرافات فماذا نتوقع من الطفل؟!



يمكننا أن نقول إن مدرسة الإرسالية الأمريكية للبنات في البصرة تلعب دوراً مهماً في بناء شخصية تلك الفتيات والتي تأتي عبر تعليمهن وتربيتهن على أحد أحدث الوسائل .

وقد سجل أعلى حضور في المدرسة لهذه السنة بسبعين فتاة ، ونصفهن تقريباً عربيات مسلمات بينما الأخريات كن خليطاً من قوميات وأديان أخرى مثل مسيحيات وأمريكيات ويهوديات .

وجميع التلاميذ بالمدرسة هن فتيات باستثناء قلة قليلة من الأولاد في روضة الأطفال . وكل الفتيات كن مواظبات جداً في الحضور ، وفي أحيان كثيرة كنا نتوقع مجيء القليل منهن بسبب الأمطار ، لكننا سرعان ما نندهش جداً عندما نرى الكثير منهن وقد حضرن إلى المدرسة وهن غارقات في البلل .

وتفتح المدرسة في الصباح الباكر بطابور في الساحة بمصاحبة عزف البيانو .

وبعد ذلك تقوم الفتيات الموزعات على مجموعات بالغناء . ونحن عادة ما نقوم بغناء ثلاث أو أربع أغنيات . تتكون الأولى من ترنيمة بالعربية وترنيمة أخرى بالإنكليزية المبسطة ثم أي شيء تختاره التلميذات بأنفسهن .

وبعد هذا الغناء تمضي التلميذات ويصعدن إلى صفوفهن . غير أن المدرسة ليست مقسمة إلى صفوف منفصلة كما هو الحال في معظم مدارسنا الابتدائية في أمريكا . فنحن نتبع طريقة نظام المجموعات

التعليمي .

وهذا الأسلوب التعليمي يعني أن نفس التلميذات لا يبقين في نفس الغرفة مع نفس المدرسة في بداية اليوم ، ولكن المدرسة تذهب من صف إلى آخر مثل ما يتم فعله في المدارس الثانوية عندنا .

ولعل الفائدة من هذا النظام هو التعامل مع الفتيات من مختلف الأعمار ، وأيضاً تعطي القدرة على إظهار قدرات الجميع .

وينقسم يوم المدرسة إلى قسم في الصباح وقسم آخر في الظهر . وخلال الصباح هناك ثمانية فصول تتكون من ٢٥ دقيقة وجميعها تتوقف لاستراحة في منتصف الصباح . وبعد الغداء هناك أربعة فصول .

وهذا البرنامج يطبق في الأشهر الباردة من السنة ، ولكن خلال الأشهر الحارة فإننا نبدأ المدرسة مبكرين بساعة ونصف قبل الموعد السابق .

وجميع المناهج التي تدرس في المدرسة بأمريكا تدرس هنا إضافة إلى نصف ساعة يدرس فيها الإنجيل كل يوم . وجميع دروس الإنجيل إجبارية ، وعندما تأتي الفتاة إلى مدرستنا فإنه يجري إبلاغها أن هذا الدرس هو جزء من منهاج الدراسة!

وبالنسبة للأطفال فإنهم يتعلمون الإنجيل بواسطة السماع وعبر قراءة المدرسات لهم ، أما بالنسبة للآخرين الأكثر تعليماً فإنهم يقرأون الإنجيل بأنفسهم .





تلميذات مدرسة البصرة

وفي هذه السنة تم إدخال بعض المقررات الفنية . وقد دهشنا في البداية حينما رأينا العرب الذين من المفروض أنهم معادون جداً للفن ، وقد تفاعلوا كثيراً مع تلك المقررات ، والنتائج كانت غير عادية .

فقد قامت فتيات بعمل رسومات للحيوانات والطيور في العراق ، وعملنا كراسات تشرح بالصور ، ومعدة للقطع والتلوين ، أما الفتيات الكبيرات فقد قمن في أحد أعمالهن بتصميمات فنية ابتدأت بالإقلام الملونة حيث رسمن الزهور ثم قمن بتطريزها على القماش .

وبخصوص اللغة الإنكليزية فإن الفتيات يتعلمن الكلمات

تلميذات مدرسة البصرة مع مدرساتهن

البسيطة جداً كل يوم ، بعدها يتعلمن القصص المبسطة مثل حكاية الدجاجات الصغيرات ، حكاية الدببة الثلاثة وغيرها مثل أي مدرسة أخرى في أمريكا .

وعندما يتقدمن في اللغة أكثر يقرأن المبادئ الإنكليزية وقراءة كتب المدرسة الابتدائية . وهناك حصة واحدة في الأسبوع تكون عبارة عن حكاية نقرأها للفتيات بالإنكليزية بينما يجلسن في الصف مستمعات لها .

وفي الماضي كانت الحكايات التي نرويها عليهن تكون قد حدثت في بغداد ، ولكن ليس في أيام هارون الرشيد ولكن في عام ١٩٢٩م ، وأحياناً نروي عليهن بعضنا من قصص ألف ليلة وليلة .

وخلال فصل الشتاء نخصص الفترة الأخيرة من عصر الجمعة



للمارسة ألعاب بسيطة مثل «الفلاح في الوادي الصغير» و«الدوران حول الطبق الصغير» وغيرها من الألعاب .

وقد وجدنا إن أهم الأشياء التي تحتاج إليها الفتيات بالمدرسة هي تعلم العمل مع بعضهن ، وأن أفضل الوسائل لتعليمهن ذلك هو إشراكهن في فرق عمل في أي لعبة أو عمل يقمن به من أي نوع .

وفي الفترة الحالية فإن المدرسة تدير فصولها في بيت محلي مؤجر ، ولكننا نأمل في شهر أكتوبر القادم في الانتقال إلى مبنى المدرسة الجديد الخاص بنا . وفي ذلك الوقت فإن أربع فتيات ستتسلمن شهاداتهن ، اثنتان منهن مسلمتان (عراقيتان) واثنتان أمريكيتان .

ونأمل أن يقام حفل تخريج للفتيات بعد فترة قصيرة من افتتاح مبنى المدرسة الجديد .

وأستطيع أن أؤكد إن العمل في المبنى يحرز تقدماً ممتازاً والفتيات مهتمات برؤية المراحل المختلفة لنمو البناء في المدرسة . وستكون هناك ثمان غرف كبيرة وقاعة تدريس وغرفة للحضانة وغرفة للعب ، ومنزل لسكن أعضاء الإرسالية ، والمبنى يقع في موقع ممتاز بقرب بستان نخيل جميل بالبصرة .

وفي النهاية فلعل كل ما حكيته سابقاً عن مدرسة البصرة للبنات هو مجرد مشاهدات وتجارب ، غير أنني آمل أن يتواصل العمل يوماً بعد يوم إلى الأفضل دائماً .

المبشر الأمريكي «ج. غليسبيز»
يبشر في كردستان عام ١٩٣١م:

# حشود الجوعى والمشردين تحبط خطط التبشير!

**قام عضو الإرسالية الأمريكية في العراق «ج .سي . غليسييز» بجولة تبشيرية في منطقة كردستان في شهر مارس عام ١٩٣١م .**

**وبعد عودته من تلك الرحلة القصيرة كتب المبشر «غليسييز» تقريراً عنها في مجلة الإرسالية الأمريكية يقول فيه :**

بالرغم من أن مدينة كركوك هي المقر الرئيسي ومركز عملياتنا في شمال العراق ، إلا أنني وجدت بعض الوقت للذهاب إلى مناطق كردستان غير المعروفة ، ولتجديد نشاطنا والالتقاء بالناس ، وكل ذلك من أجل بحثنا الدائم عن مجالات أكبر .

غير أنني أعترف بأن الأهم من كل ذلك ، هو أن نصنع الفرصة لنُعرِّف هؤلاء البشر على المسيح والمسيحية ، والذين لم تتح لهم الفرصة من قبل لسماع أي شيء عنهما .

وهكذا رحلنا أنا ومعي اثنان من المبشرين متوجهين إلى قرى ومدن كردستان . في البداية قام رئيس الشرطة بتحذيرنا قبل الرحيل من خطورة تلك المناطق . وحذرنا قائلاً : ستكونون مسئولين عن أرواحكم ، فبعض المناطق التي ستذهبون إليها تعتبر أماكن تمرد ، ونحن كمسئولي أمن نعتبرها مناطق حرب!

ومع بدايات رحلتنا مرت علينا سيارات مسلحة وطائرات تحوم فوق رؤوسنا في السماء ، وكلها كانت تؤكد كلام رئيس الشرطة بأننا



أكراد يحتشدون أمام بائع كتب مسيحية.

في منطقة حرب!

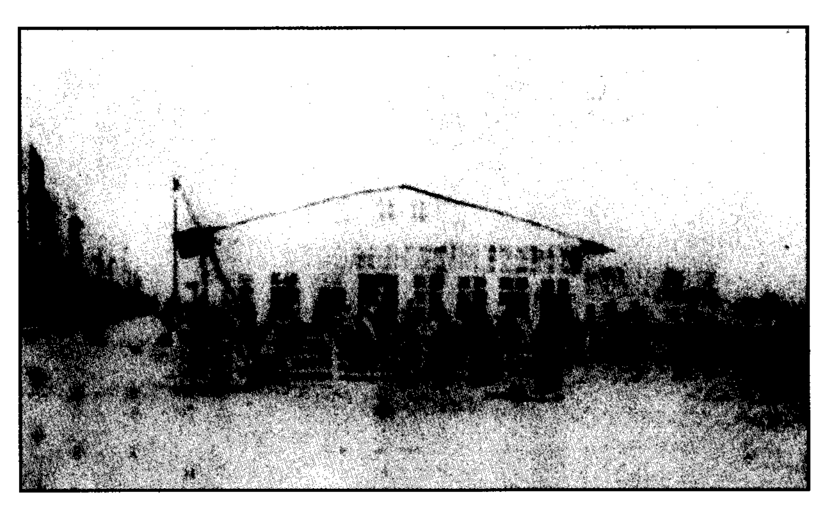
وفي الواقع فإن الموسم لم يكن مثالياً للقيام برحلة في كردستان فالأحوال المناخية لم تكن ملائمة . كما أننا واجهنا مأزقا خلال شهر مارس هذا ، تمثل في إغلاق مكتبتنا وغرفة المطالعة التي كان يجب افتتاحها قريباً .

وفي النهاية لم يكن أمامنا غير خيار الرحيل ، وكان علينا الكفاح ومواجهة العواصف والثلج والمطر ، وكنا لوقت طويل ندفع بسيارتنا «الفورد» إلى أعلى التلال بينما كنا غارقين من بلل المطر .

وبعد هذا التعب المضني ، كان بانتظارنا تعب آخر ، فقد وجدنا أن البحث عن فندق للسياح أو للزوار هو شيء غير موجود طبعاً في هذا المكان ، وأن على المرء أن يمشط المدينة كلها بحثاً عن مكان ليرتاح







مقهى في الموصل

فيه بعد كل هذا التعب ، والمحظوظ هو الذي سيجد كرسي مقهى طويل ليستخدمه كسرير ، والمحظوظ أكثر هو الذي سيجد فراشه لم يسقط مع كوم الثياب في السيارة . وبالنتيجة عليه أن ينسى أمر وجود فندق أو نزْل على الإطلاق ، وعلى صعيد آخر فقد وجدنا أن معظم رسالتنا كمبشرين لا تلقى هنا إلا معارضة قليلة خاصة عند الأكراد المتشوقين للحصول على كتب وكراريس للقراءة ، والأكثر من ذلك فوجئنا بأن طلاب المدارس الثانوية يأتون إلينا في غرفنا ويسألون عن الكتاب المقدس ، وكان هذا الشيء لا يحدث إطلاقاً في المدن الكردية المتعصبة .

وكنا بالمقابل نرد على الطلاب زياراتهم بزيارة مدارسهم خلال فترات الاستراحة . وكنا ننشر كتبنا ونستعرض أفكارنا .

وفي يوم الأحد كنا نخطط ، بالإضافة إلى صلواتنا وعباداتنا القصيرة ، لزيارة بعض الأكراد لكن هذه الخطة كانت تحبط في أكثر الأحيان بسبب حشود الجوعى والمشردين في الطرقات الذين كانوا يتجمهرون أمام مقر سكننا ويربكون زياراتنا ، حتى إننا كنا أحياناً نجد صعوبة في تناول وجبات الطعام ولا نجد وقتاً لها . وبالمقابل كانت هناك زيارات منتظمة لمسئولين في الحكومة والمدرسين والطلاب والجنود وغيرهم داخل غرفنا ، ونادراً ما خرج أحد منهم إلا ومعه جزء من الكتاب المقدس ، وكان من بين هؤلاء شخص طلب كتباً تتعلق بالقانون المدني .

وبالطبع قمنا بإطلاعه على كتاب «القانون» ، وعندما خرج من عندنا كان يحمل أجزاء هامة من أعظم كتاب عن القانون .

وعلى صعيد منطقة كردستان فقد كان أهم ما لفت نظرنا هو الطريق السريع الذي أنشئ مؤخراً . فهذا الطريق يقود إلى أعالي الجبال والأنهار . وقد أصبحت القرى الواقعة بالقرب من الحدود الفارسية ، بفضل هذا الطريق ، ممكنا الوصول إليها وسهلة المنال على ظهور الحمير .

ويظهر السكان الأكراد في معظمهم أو قسمهم الأكبر بأنهم لم يسمعوا قط عن المسيح ، وسواء كانوا يستطيعون القراءة أم لا فقد اشتروا كتبنا المسيحية وجلسوا بالساعات ينصتون لرسالتنا في المحبة .

وفي أحد الأيام وبينما كنا جالسين في أحد المقاهي نقرأ بصوت





أكراد من الموصل

عالٍ ونشرح الكتاب المقدس ، وجدنا أن الحاكي (الفونغراف) كان له دور هام في كل المكان . ففجأة تغير صوت الفونغواف من أغنية كردية حربية إلى «دافعوا . . دافعوا عن المسيح»!

ولقد فوجئنا بسماع كلمات هذه الأغنية خاصة في مكان يبدو أنه بعيد جداً عن الحضارة!

وقد رأى أصدقاؤنا الأكراد بأننا مستغربون بعض الشيء ومسرورون لهذه الأغنية!

لقد أظهرت بياناتنا وإحصائياتنا عن الرحلة بأننا قمنا ببيع ٤٤

نسخة كاملة من الإنجيل و٨٠ نسخة للعهد الجديد و٤ للعهد القديم ، ٣٧٣ نسخة من الكتاب المقدس ، و٥٧٠ كراسات دينية ، وكتاب تعليمي ، بينما كان التوزيع المجاني للكتب الأدبية قد تجاوز آلاف النسخ .

وفوق ذلك ، فقد أظهرت هذه الإحصائيات مدى العمل الذي تم إنجازه في هذه الفترة القصيرة .

وأستطيع أن أؤكد أن ما تم إنجازه من هذه الرحلة سيشجع بالتأكيد على القيام برحلات أخرى وفتح مناطق جديدة وواسعة .



## الطبيب الأمريكي «وليم ورديك» يمارس الطب في العمارة عام ١٩٣٣م:

# مستعمرة الجذام في العراق!

**عاش المبشر والطبيب الأمريكي «وليم مورديالك» عدة سنوات في مدينة العمارة العراقية في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين .**

**وفي شهر أكتوبر عام ١٩٣٣م كتب «مورديالك» عن مستعمرة الجذام ، التي أنشأها مع رفاقه في الإرسالية الأمريكية ، يقول :**

كم أتذكر جيداً التقرير الأول عن مدينة العمارة الذي أعطاه ليّ شقيقي عنها . فقد قضى فيها أكثر من ثلاثين عاماً بين أهلها العرب .

لقد قدم شقيقي وصفاً دقيقاً لهذه المدينة العراقية التي تقع على نهر دجلة ، وكان فيها معسكر للمجانين والعميان والمجذومين .

فبعد تأسيس العمل الطبي للإرسالية الأمريكية في هذه المدينة بدأت أعرف الحقيقة حول تلك التقارير والبيانات التي جاءتني من إدارة الحكومة التي تقول بأن واحداً وخمسين بالمائة من مجموع المجذومين المسجلين في العراق يعيشون قرب مدينة العمارة .

كانت تلك الأرقام مفزعة بالنسبة لي ، ووفقاً لذلك قررت بأن أقوم بعمل شيء ما لهؤلاء البشر المنبوذين ، خاصة وأن الحكومة في العراق لا تفعل لهم شيئاً على الإطلاق .

لقد بدأت العمل كنواة صغيرة مع مجموعة قليلة من المرضى الذين أشعر بإمكانية شفائهم وخروجهم فيما بعد . وقمت بتأجير قطعة أرض صغيرة ليست بعيدة عن مستشفى الإرسالية .

مرضى الجذام في العمارة

وقد أحطنا هذه الأرض بسياج من الطين ، ثم قمنا ببناء المكان تدريجياً كمستعمرة صغيرة للمجذومين .

كانت أكواخ مستعمرة الجذام مجرد بيوت بسيطة جداً بنيت من أعواد القصب والحصير ، ومع الوقت استطاع الكثير من هؤلاء المرضى الهاربين خارج المدينة العودة والعيش في هذه الأكواخ ، خاصة وأن غالبيتهم من أفقر الفقراء ومن المشردين في العراق .

كانت غرف معالجة المجذومين مكونة من أكواخ صنعت من الحصير ، وتم تأثيثها بطاولات وكراسي ، وكانت واسعة بما فيها الكفاية لخدمات المعالجة أو للتبشير .





وتأوي المستعمرة حالياً أربعة وعشرين مريضاً من الرجال وخمس عشرة مريضة من النساء . وغالبية المرضى يخضعون للمعالجة الطبية منذ أكثر من ستة شهور ، وقد أظهروا تقدماً وتحسناً رائعاً ولكنهم لا يزالون بعيدين عن الشفاء .

ولا يوجد في المستعمرة أشياء تجمع المجذومين ، فهم من مختلف الأعمار ، وكذلك من درجات وشخصيات مختلفة .

ولعل الجزء المشجع في علاج هؤلاء هو أن المرضى أنفسهم يستطيعون رؤية الفوائد التي يحصلون عليها في العلاج أو حتى في طرق المعيشة .

فواحد من أكثر الأشياء إثباتاً لحديثي حالياً هو ولد يبلغ عمره ستة عشر عاماً كان يعاني من الجوع ويعاني من قروح مفتوحة في كلتا رجليه .

ومنذ أكثر من خمس سنوات ، كان هذا الولد في حالة بائسة تماماً وكان نموذجاً للإنسان البائس الفاقد لأي أمل في الحياة . ثم جاء إلينا بعد أن سمع عن المرضى الذين تمت معالجتهم في أيام ، وكلها فترة قصيرة حتى استطاع هذا الولد أن يتعافى بعد أن ظل يكافح لفترة من أجل الحصول على صحته كأي إنسان آخر .

ومن أطرف الأشياء في المستعمرة هي أن كثيراً من المرضى الآن يروون عن قصص سفرهم المضني مشياً على الأقدام لمدة أربعة أو خمسة أيام من أجل الوصول إلينا وطلب العلاج .

إنني أتخيل كم هي معاناة أن يسافر الإنسان مشياً لمدة أربعة أو خمسة أيام وهو فقير جداً لدرجة أنه يعجز عن أن يشتري حذاءً لرجله المتورمة ، بينما القروح في رجله تدميه ، ولا تفيد معها الخرق البالية القديمة التي يحاول مداواة قروحه بها . ومع هذه المأساة يعيش على لا شيء تقريباً ، ربما على خبز وماء بينما كان يعبر كل هذا الطريق الطويل .

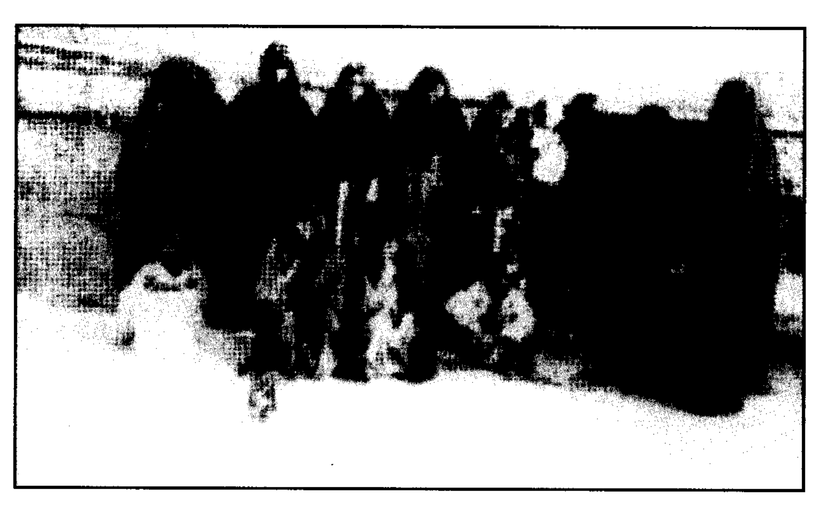
ومن يدري كيف كانوا في جوع شديد ويتضورون جوعاً قبل أن يبدأوا رحلتهم إلينا ، ولا أظن أن الجوع والآلام رغم مأساويتها هي كل المشكلة ، بل إن معظم هؤلاء المجذومين تقريباً طردوا من بيوتهم واضطروا للذهاب إلى الصحراء حيث عاشوا هناك في ما يشبه «السكن» وهو عبارة عن حصير لتغطية رؤوسهم من الشمس الحارقة فقط ، بينما لا يزيد طعامهم عن الطعام الذي يحصلون عليه من التسول من الناس القريبين منهم .

لقد كان شقيقي خير عون ومساعد لي في العناية بهؤلاء المرضى والعناية بمساكنهم . فقد كان يقوم يومياً بخدمة التبشير معهم . وقد كان بعضهم طموحين جداً لتعلم القراءة تحت تعليماته . كما تعلموا المبادئ الأساسية في الإنجيل .

إننا نهتم علاوة على كل ذلك بنظافة المجذومين وأكواخهم الصغيرة . فأكواخ المرضى يتم فحصها بشكل يومي وفردى واحداً واحدا ، ويتم التنبيه للمحافظة عليها ، بل والمسئولية عن أن تكون







مريضات الجذام في مستعمرة العمارة

نظيفة إلى أقصى درجة .

وجميع الأمراض الواردة إلينا يتم معالجتها بأفضل عناية ، كما أن ملابس وطعام المرضى يتم إحضارها للمستعمرة من أفضل وأجود الأنواع .

وفي الوقت الحاضر فإننا نتطلع إلى مجيء فصل الشتاء بقلق ، فالبرد يسبب كثيراً في معاناة المرضى هنا ، ولكن غالبهم المرضى هنا يقاومونه بالتجمع حول النار المشتعلة التي تعطيهم بعض الدفء الذي يحتاجونه . وفي مقابل التدفئة نقوم عادة بتزويدهم جميعاً بالملابس الدافئة الضرورية للشتاء .

ويمكن مشاهدة المرضى عبر الصور بعد حصولهم على المعالجة .

فالسعادة التي تبدو على وجوههم لا يمكن إخفاؤها ، ويظهر أيضاً مدى الرضى على المحيطين بهم واقتناعهم بأنهم يحققون التقدم في حالتهم الصحية .

وبخصوص النساء المجذومات ، فقد ساعدت الآنسة «دالنبيرج» ببراعة في معالجة اللواتي كن يعانين بشدة من أمراض متنوعة . وكما نسمع دائماً فإنه في الشرق لا يوجد لسان أطول من لسان المرأة ، ولذلك كنا في أحوال كثيرة ندخل في مناقشات ونزاعات وشجار مع المريضات لا تنتهي!

أما أعمال التبشير والأحاديث الدينية مع الحالات الفردية فقد كانت تقوم بها السيدة موردياك بمساعدة نساء أخريات من البعثة .

وفي المستعمرة هناك فتاتان صغيرتان فقط في الوقت الحاضر وهما من ضحايا المرض . وواحدة منهما احضرت من قبل إحدى قريباتها وألقت بها عندنا ، ورحلت عنها بلا رحمة .

ومن المؤلم أن واحدة من النساء المصابات بالجذام والمستمر علاجها عندنا تبين أن لديها ابنا لديه علامات المرض أيضاً ولكن وضعه ليس سيئاً . والمؤسف أن والدته مريضة بالجذام منذ زمن طويل وهي تعاني بشدة من مرضها ، ولكنها بالمقابل تقدر ما نقوم به تجاهها ، ويظهر أنها تعلمت من دروس المسيحية التي تعطف على الآخرين!

ويجب تسجيل أن هناك تقدماً وفوائد كبيرة في معالجة المرضى البؤساء ، ويمكن تحقيق تقدم وفوائد أكثر عبر التوضيح للقراء وإخبارهم





عن حكايات بعض المرضى .

إن «نعيم» الشاب الصغير الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً كان يسكن في بيت قريب من منطقة المستنقعات بالقرب من مدينة العمارة جاء إليّ لأول مرة وكان وجهه مغطى بآثار الجذام بينما كانت أرجله مريضة جداً لدرجة أن كل خطوة كان يخطوها تترك أثراً على الأرض وتظهر إفرازات جروحه الكثيرة ، وبجانب ذلك يمكن التعبير عن وصف ما شاهدته بأن الولد كان وجهه يشبه وجه رجل هاجمه أسد وغرز أظافره فيه بلا رحمة .

ومن النظرة الأولى لهذا الولد يمكن الحديث عن معاناته الجسمانية الشديدة من المرض ، وكذلك عن معاناته النفسية بسبب أنه لم يكن له بيت ولا أصدقاء ، علاوة على أنه فقير ومريض ومتشرد ومنبوذ .

واليوم وبعد مرور سنة وأربعة شهور من العلاج ، ظهر الشاب كأنه إنسان مختلف تماماً عما قبل . فمعاناته الجسدية راحت تختفي ، وآثار جروحه من الجذام بدأت تختفي تدريجياً ، وبدت جميع الأدلة تظهر سعادته ورضاه وكلها واضحة من وجهه .

وهذا الشاب الصغير يمثل أكثر المرضى احتراماً للتعليمات والأكثر امتثالاً للنظافة الشخصية ، وقد أخبرني شقيقي كذلك بأن هذا الشاب أيضاً يعتبر من أفضل الرجال الطموحين من المرضى في دروسه وفي رغبته قراءة وتعلم الإنجيل .

ولا يمكن وصف مدينة العمارة في النهاية إلا أنها مركز لأكثر المناطق خصوبة في العراق . فالمزارع بها الأكثر انتشاراً في أراضيها ، وفيها يزرع القمح والشعير والأرز الذي نجلبه ، ليكون طعاماً للمرضى عندنا .

وإذا أردنا مساعدة مرضى الجذام بطريقة أفضل وبوسائل أقوى ، وإذا أردنا أن نطلعهم على تضحية المسيح وخدمة المسيحية للناس فإن علينا مضاعفة العمل في هذه المستعمرة .





**المبشرة «دبري توماس» تروي حكاية مدرسة الإرسالية الأمريكية للبنات في بغداد عام ١٩٣٤م:**

# مدرسة النظافة والسعادة!

**في بداية الثلاثينيات بدأت المبشرة الأمريكية «دبري ترماس» عملها كمدرسة في مدرسة الإرسالية الأمريكية للبنات في بغداد .**

**وكتبت المبشرة «توماس» عن مدرسة الإرسالة في بغداد عام ١٩٣٤م تقول :**

حان الوقت لكتابة تقرير عن مدرسة بغداد للبنات . غير أنني قبل أن أبدأ الكتابة تساءلت كثيراً ما هي الأشياء الخاصة بمدرسة صغيرة في بغداد يمكن أن تكون ممتعة وشيقة لأصدقائنا؟ وخاصة لأولئك الذين تواجدوا معنا في الإرسالية الأمريكية في العراق .

المدرسة هي حقاً عالم صغير بحد ذاته . غير أن الإنسان يشعر بالاختلاف لحظة عبوره بوابة المنزل الذي يستخدم مبنى للمدرسة ، هنا سيجد النظافة والسعادة معاً .

وسواء كان الوقت قبل أو بعد فتح المدرسة بدقائق فإننا من المؤكد سنشاهد الفتيات بملابسهن الخاصة . فالبنات الكبيرات سنجدهن في صفوفهن بالطابق العلوي ، أو يتمشين جنب الشرفة وأيديهن بأيدي بعض . أما البنات الصغيرات منهن فيبدين كفرقة عيد الميلاد التي تغنى أغنية : « مع رنين الضحك من المرح . . الضحك يمزق الأجواء الكئيبة» .

وجميع بنات المدرسة مستعدات دائماً لترك ألعابهن والركض للترحيب بتحية الصباح الجميلة «صباح الخير» ، بينما تنشغل



تلميذات مدرسة البصرة

الطالبات المستجدات بزيادة معارفهن وقدراتهن في اللغة الإنكليزية .

وفي الساعة السابعة والنصف صباحاً في الصيف ، والثامنة والنصف شتاء ، يقرع جرس المدرسة وتصطف البنات في الفناء حسب صفوفهن . وما أن تكتمل الصفوف حتى نبدأ في الاستماع إلى التراتيل العربية أو الوصايا المسيحية العشر بأصواتهن ، تليها ترنيمة صلاة باللغة الإنكليزية ، وبعدها تذهب البنات إلى صفوفهن بالطابق العلوي من المبنى المطل على الفناء .

وفي المدرسة هناك شرفتان واسعتان على جانبي المبنى . والشرفتان تستخدمان أحياناً كغرفتين عندما تمتلئ جميع الصفوف



وتغص بالتلميذات . وعندما يحل الشتاء تكون غرف المدرسة ، ذات الأرضية القرميدية ، باردة لدرجة أن يشعر معها المدرسون والتلميذات بالضيق منها . ويصل هذا الضيق من البرودة إلى درجة أن يتم التنافس بين كل الصفوف تقريباً للحصول على مكان في الشرفة المشمسة الدافئة والتي كنا نسميها «ردهة الشمس» .

وفي الفسحة ، كانت التلميذات وحتى المدرسون يذهبون إلى فناء المدرسة للحصول على دفء الشمس في الشتاء .

لكن في الصيف تختلف الأمور كثيراً بالطبع . فالبنات يحاولن قدر الإمكان الابتعاد عن الشمس والهروب منها . وكنا نواجه مشكلة أننا لا نستطيع استخدام السراديب ، رغم الظلال والحرارة القليلة التي توفرها ، لأنها ببساطة خالية من الإنارة والتهوية وغير صالحة للعمل المدرسي .

وعموماً فنحن في الصيف نبكر دائماً في بدء اليوم الدراسي ثم ننتهي مبكرين أيضاً في الظهر . فعند الساعة الواحدة ظهراً نأمر الطالبات بالانصراف والذهاب إلى بيوتهن .

فالحر في العراق شيء رهيب ومروع ولا يطاق وخاصة في أوقات الظهر . وعادة ما تستغل بنات المدرسة فترة الظهيرة للنوم بعد وجبة الغداء لمدة ساعة أو أكثر ، ثم ينهضن لأداء واجباتهم المدرسية لليوم التالي . لكن الواقع أن لا أشهر الشتاء الباردة ولا أشهر الصيف الحارة كانت تمنع من إعطاء نتائج دراسية جيدة ، فالأداء الدراسي يمضي في

كثير من الأحيان ولا يتأثر بأية معوقات تذكر .

وعندنا في المدرسة بنات من جميع الطبقات الاجتماعية في العراق وينعكس ذلك على بيوتهن التي حضرن منها .

فبعضن البنات جئن من بيوت لا يمكن تصور فخامتها ، بيوت جدرانها مغطاة بالمرايا الفاخرة ، ومملوءة بالكراسي والأرائك الغالية في معظم الغرف ، وتشبه البيوت الأوروبية الفاخرة . وهناك بنات من بيوت فقيرة مكونة من غرفة واحدة فقط .

ولكن في المدرسة تتوارى الطبقات الاجتماعية ، فابنة المسئول الحكومي الكبير تجاور البنت الفقيرة التي تنام بقرب الأبقار في بيتها ، وهنا في المدرسة يُنسى المستوى المعيشي للفتاة ، فالبنت التي تدفع عشرة دولارات كقسط للفصل الدراسي تتساوى مع الفتاة الأخرى الأقل مستوى ، حيث يشتركن جميعاً في الأكل والدراسة واهتمام المعلمة لا فرق .

غير أنه يمكن القول بوجود فارق وحيد وهو أن المعلمة تضطر أن تعطي الفتيات الأكثر فقراً والمشردات اهتماماً أكثر وانتباهاً ورعاية وذلك لمساعدتهن على الاستيعاب والفهم ومتابعة الدروس .

إننا نتساءل أحياناً في مدرسة الإرسالية في بغداد عما يخبئه المستقبل للبنات ذوات المقدرات الفائقة والإبداعية والمتفوقات دراسياً ، علاوة على إخلاصهن وعشقهن للمدرسة والحياة داخلها .

إن تساؤلاتنا في محلها . فالكثير من الفتيات الموهوبات لا نعرف



إمكانية حصولهن على تدريب ولو بسيط للعمل بعد المدرسة .

وفي مقابل هؤلاء الفتيات نجد مجموعة بنات يئسنا نحن من محاولات مضنية لإصلاحهن وجعلهن يشعرن بأهمية المدرسة والتعليم عموماً .

ومعظم فتيات مدرسة الإرسالية الأمريكية هنا في بغداد هن فتيات فقيرات جداً وينحدرن من عوائل معدمة . وفي العادة يتم تزويجهن وهن صغيرات في السن . ورغم رثائي لهن لتلك الحياة البائسة التي تنتظرهن ، إلا أن هناك على الأقل بضع سنوات يقضينها في المدرسة يجدن فيها شيئاً من الطهارة والنقاء والنزاهة والاحترام وغيرها .

لكن سن الزواج بالنسبة للفتيات اللواتي ينحدرن من طبقات اجتماعية متوسطة أو عالية هو أكبر بالتأكيد . فأولئك الفتيات يبقين سنوات أكثر في المدرسة من زميلاتهن الفقيرات .

ولتأكيد هذا ، فمن بين ثماني عشرة فتاة تخرجن من مدرستنا الإعدادية ، ذهبت اثنتا عشرة فتاة منهن إلى مدارس عليا في بغداد لمواصلة دراستهن ، وبعضهن واصلن دراستهن في مدينة بيروت بلبنان حيث درسن في المدرسة الأمريكية للبنات . وقد تزوجت أربع منهن ، ثلاث منهن تزوجن موظفين وواحدة رجل أعمال .

وخارج عالم البنات ، فقدنا قبل سنة واحدة إحدى أفضل معلمات المدرسة التي عملت معنا لمدة ثماني سنوات متواصلة

وكانت مسئولة عن المدرسة الإعدادية .

وقد تركت هذه المعلمة العمل رغم أنها احتلت لها مكانة كبيرة في قلوب التلميذات والمعلمات معاً .

غير أننا استطعنا تعويض هذه المعلمة بتوظيف معلمة جديدة هي خريجة كلية البنات في بيروت . وقد بدأت الآنسة عملها بهمة ، وهي تبدو ذات كفاءة وحاصلة علي تدريب جميل ، ومن المؤكد أنها مسرورة بمشاركتنا بأعمال التبشير .

ولعل من المثير للاهتمام رؤية تفاعل المعلمين الجدد في المدرسة . فلدينا الآن مجموعة معلمين سوريين وهم مسيحيون بالطبع ، وهؤلاء عندما جاءوا لأول مرة فوجئوا كثيراً بمعرفة أن ثلث تلميذاتنا في المدرسة هن من عوائل غير مسيحية ، إلا أنهن متفاعلات جداً مع الرسالة النصرانية والتعاليم المسيحية . كما يستغرب الكثير من المعلمين الجدد من تجاوب الطالبات غير العادي في دروس الكتاب المقدس وغيره .

وليس هذا التفاعل الجميل هو وحده الذي يثير تفاؤلنا فقط ، بل أن تطور مدرسة الإرسالية كان يظهر للجميع بوضوح كل عام .

وهذا التطور كان يأتي في كثير من الأحيان من إصرارنا على النجاح . فقد كانت هناك فتيات كسولات وكن على وشك أن يطردن من المدرسة لخوفنا أن يؤثرن على زميلاتهن . لكننا قمنا بدلاً من طردهن بمساعدتهن بكل الطرق ، ونجحن لاحقاً وتمت مكافأتهن على





ذلك . واستطاعت بعض الطالبات المجتهدات الأكبر سناً مساعدة هؤلاء الفتيات في الدراسة والاجتهاد واحترام الأنظمة وقد نجحن في ذلك ، وقد قدمن كل ذلك لإحساسهن بالمسئولية تجاه أخواتهن الطالبات الأخريات ذوات الحظ القليل من الاجتهاد .

المبشر الأمريكي «جى. بينيغر» يعود إلى العراق عام ١٩٣٤م بعد غيبة طويلة:

# كم تغيرت البصرة!

**«كم تغيرت البصرة» هكذا صاح المبشر الأمريكي «جي . بينيغر» لأول مرة عندما رأى البصرة بعد خمسة وعشرين عاماً من رحيله عنها .**

**فقد قضى المبشر «بينيغر» بعض سنوات شبابه الأولى بالمدينة في أوائل القرن العشرين ، وعندما عاد إليها في بدايات عام ١٩٣٤م لم يجد أمامه شيئاً يكتبه سوى الذكريات ومقارنة البصرة القديمة والجديدة . . فكتب يقول :**

«كم تغيرت البصرة» . . هكذا وجدت السنوات الخمس والعشرين الماضية قد غابت عن ذاكرتي مؤقتاً ولكنها بقت في وجداني ، وجزءاً من حياتي الشخصية .

جئت إلى البصرة لأول مرة عام ١٩٠٩م لتعلم اللغة العربية ومن ثم الاشتراك في أعمال الإرسالية الأمريكية المنتشرة في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ثم رحلنا عنها بعد فترة قصيرة .

والآن بعد هذه السنوات الطويلة عدنا إلى البصرة للإقامة فيها للعمل التبشيري المسيحي .

وأظن أن من أصعب الأشياء اليوم هو عقد مقارنة بين البصرة القديمة والبصرة اليوم ، فهذه المقارنة تعني باختصار أن نقارن مع أنفسنا ، فإذا تغيرت المدينة فقد تغيرنا نحن أيضاً . إنني أتذكر تلك الأوقات عندما جئت إلى شرق العشار جنوب العراق ، حيث لاتزال

تقع البيوت القديمة والقديمة جداً ، والتي هي حتى الآن موجودة ، حيث يعيش الدكتور بينيت والدكتور فإن أيس وأنا ، وعدد غير محدود من الحيوانات المدللة مثل القطط والكلاب والببغاوات .

وعندما نجد الشارع الضيق سوف نجد المعمل الطبي ، وهنا غرف للدكتور وورال وعائلته ، وبيت للاستراحة تعيش فيه السيدة فوجيل الممرضة المسئولة في المستشفى . والمنزل المجاور للمبنى هو المستشفى المشهور الذي بدأ بواسطة الدكتور وورال ثم واصل العمل فيه وبنجاح كبير الدكتور بينت .

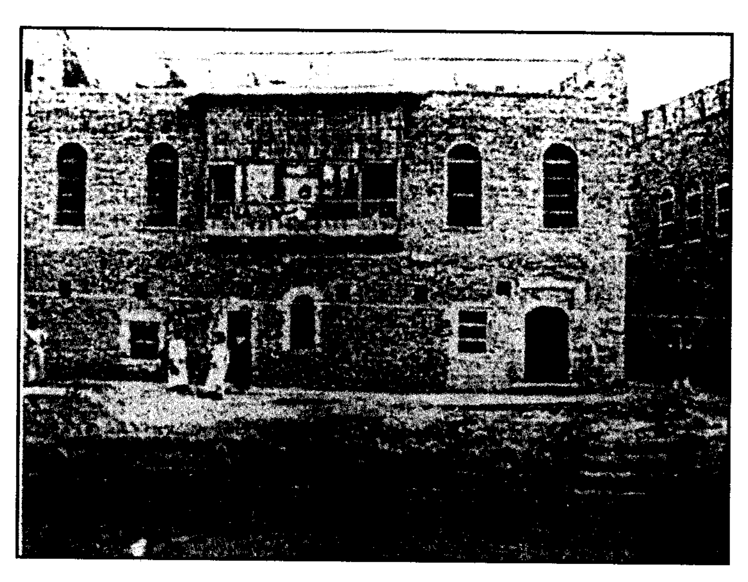
ويمكن القول أن البيت القديم للإرسالية شارك في جميع التغيرات التي حدثت في السنوات الماضية . فخلال الحرب أصبح مقر قيادة «جمعية الشبان المسيحيين» ، وبعدها بفترة قصيرة أصبح فندقاً ، والآن أصبح مدرسة للبنات . وهذا البيت يذكرنا ببدايات الحرب ، ثم بالتطور التجاري السريع والزوار والعابرين الكثيرين ، وثالثاً وأخيراً فإنه يذكرنا بمجيء التعليم الحديث .

لقد أصبحت البصرة هي مكان الماضي ، والتاريخ الذي لا ينسى ، وموقعها على الخارطة يدل على ذلك ، فالمدينة تبدو من الغرب إلى الشمال صحراء منفصلة عن الحياة ، ومن الجنوب تبعد أكثر من ألف وخمسمائة ميل عن الهند عند السفر عبر الخليج «الفارسي» .

وللذهاب إلى البصرة من أمريكا ، فإن على الإنسان أن يذهب إلى بومبي في الهند ثم يأتي إلى الخليج غير السفن الأسبوعية .







مبنى الإرسالية الأول في البصرة

وعندما أصبحت البصرة واحدة من مسارح الحرب العالمية ، احتشدت فيها الآلاف من القوات الهندية والإنكليزية العابرة إلى العراق عبر مينائها ، وكان أثر ذلك عظيماً جداً .

قبل خمسة وعشرين عاماً كانت العراق كلها تتبع تركيا ، والبصرة كانت تحكم بواسطة القسطنطينية «عبر الولاة» الأتراك ، لكن هذا الحكم التركي لم يحقق للناس من الخير والسعادة أي شيء .

وخلال الحرب تم طرد الأتراك من العراق عندما تم احتلالها من قبل البريطانيين . ونتيجة للحرب أعطي للبريطانيين حق الانتداب على العراق . وبعدها أعطى البريطانيون العراق الاستقلال الكامل

للبلاد . ولكن قبل رحيلهم أقاموا الكثير من الخطوات المعتدلة للتقدم والتنظيم وخاصة في مجال الصحة العامة والتعليم والذي يظهر كمثال وكشاهد على ما تم تحقيقه ، ولعل هذا ما أصبح يدعو الحكومة العراقية إلى أن تجتهد في المضي بالاستمرار فيه .

ويمكن القول بأن التغيرات الخارجية عظيمة جداً . وفي الواقع فإن هناك أجزاء من العشار ومدينة البصرة خصوصاً تبدو فيها التغيرات ـ رغم قلتها ـ واضحة ومهمة .

ومهما يكن فالتفكير الجديد والأفكار العصرية أصبحت تحتل عقول القطاعات الأخرى من المدينة التي تحولت كلياً مثلاً إلى بيوت عصرية جداً ، وبعضها الآخر في سبيلها لتحقيق ذلك . وكل هذا يشير إلى وجود أمن أكثر ، وحرية أكثر للمرأة ، وحب للجمال ، إعجاب وتقدير لأهمية ونظافة البيئة ووجود الهواء الطلق .

إنني أعتقد جازماً بأن القادم سيكون الأكثر معنى وأهمية . والقصة التالية تدلل على هذا التطور الكبير في البصرة . فقد قال صاحب دكان لصديقي بأن هناك طلبات كثيرة من بذور الزهور والخَضراوات هذا الصيف . وأن جميع البذور قد تم بيعها في فترة قصيرة ، وإنه تم بيع معظمها للعرب .

وبينما كانت مصابيح الزيت القليلة المدخنة هي التي تنير الشوارع في البصرة ليلاً ، فإن المدينة الآن تتألق بالمصابيح الكهربائية في الليل .





تلميذات مدرسة البصرة

وفي الماضي كانت مصادر المياه الرئيسية تأتي من جدول البصرة ، وعندما يأتي المد فإنه يقوم بتزويد الماء ، وعندما يهطل المطر تكون هناك البلاعات . وهنا تقوم النساء بغسل ثياب العائلة ويقوم حمالو المياه بجلب الماء الحلو للبيوت . ولكن الآن هناك وفرة في المياه النظيفة التي تزود بها البصرة بواسطة نظام مياه وهو متوفر في جميع أجزاء المدينة .

ولعل هذا التقدم الكبير بالنسبة للبصرة هو شيء عظيم لا يمكن إخفاؤه .

وفي بدايات القرن كانت هناك مدارس تستحق بصعوبة تسميتها

مدرسة . لكن الآن هناك نظام منتظم للتعليم مع وجود عدد من المدارس الممتازة في مناطق مختلفة من المدينة . وقد اختفت الأمية بسرعة وتعلمت الكثير من الفتيات ، بل إن المدارس هنا تطورت لمصلحتهن ، والحكومة وضعت خطوات هامة لتقديم التعليم لهن .

ولكن ما أثر فيَّ خاصة هو الحرية الكبيرة التي صارت تتمتع بها النساء بشكل عام .

لقد كان الشال الحريري الثقيل الذي يغطى كل أجزاء جسم المرأة والتي كانت حتى النساء المسيحيات مضطرات إلى أن يتهادين به في مشيتهن على جانب الشارع عندما يخرجن مفروضاً عليهن ومقيداً من قبل الحكومة الإسلامية . إن هذا الشال وتلك القيود كلها قد اختفت الآن .

فالنساء الآن أصبحن يخرجن للشارع بملابس أوروبية محافظة ، وغير مباليات وغير منزعجات بأية انتقادات يمكن أن تصادفهن .

بل حتى حجاب النساء المسلمات أصبح أقل صرامة ، فالمرء يستطيع الآن أن يرى النساء يتسوقن في الشوارع ويمشين أحياناً بدون خمار أو أحياناً يظهرن وجوههن عندما يتحدثن مع أصحاب المحلات المسيحيين ، وهو شيء كان لا يسمح به عندما جئت إلى البصرة للمرة الأولى .

وفي إحدى الليالي أقامت مدرسة الإرسالية العليا برنامجاً في حديقتنا الخاصة . وقد كان الشباب الصغار هم لجنة القيادة ، وهم





محطة وقود في البصرة

الذين ينظمون . وكان هنا بعض الشيوخ الكبار في السن ولكنهم كانوا يجلسون مع جمهور المشاهدين .

لقد كان البرنامج منظماً جداً ومثالياً ، ولكن معظم ما تم ملاحظته هو وجود ثلاث فتيات فقط في البرنامج ، واعتقد الجميع بأن معظم المشاهدين هم من المسلمين ، ولكن الفتيات تحدثن بقوة وتواضع وثقة وبشكل مؤثر جداً ونلن إعجاب الجميع .

ولابد من القول أن تلك الفتيات قد تحررن من الأوهام الكثيرة في عقولهن حول الأفكار المتخلفة عن النساء التي تتصور أنهن أشخاص أدنى من غيرهن .

ومن المؤكد أن الكثير من الشباب المسلم يتوقون إلى الوقت الذي تكون فيه زوجاتهم وشقيقاتهم ربما أحراراً من القيود ومن الحجاب والقيود الأخرى .

وفي مقابل هذه التغيرات الكثيرة والمدهشة في البصرة فقد حدثت عندنا تغيرات في الإرسالية أيضاً . فبينما كنا أيام زمان لا نمتلك أرضاً خاصة ، فنحن الآن نمتلك أرضين ، واحدة منهما أرض ممتازة عند جدول البصرة ، فوق العشار مباشرة ، أما الثانية فهي قطعة أرض رائعة في البصرة . وبينما لم يكن عندنا في الماضي مبانٍ فإن لدينا الآن بيتين ومبنى مدرسة في ملكية أرض العشار . وبنايتين ممتازتين ، واحدة بنيت للسيدات والأخرى مدرسة للبنات في مدينة البصرة .

لكن عملنا الطبي في البصرة انقطع خلال تلك السنوات ، ولم يكن منتظماً .

فخلال الحرب توقف العمل بسبب فقدان الأطباء الذين يمكن أن يمارسوا العمل .

وعندما بدأ البريطانيون أثناء انتدابهم في عملهم الطبي وجلبوا الأدوية وصار في متناول يد الفقراء ، صارت الحاجة إلى عملنا الطبي أقل أهمية .

ومع الوقت انتهى الانتداب البريطاني ، ومعه انتهى أفضل مستشفى في المدينة من تجهيزاته وخدماته للمجتمع كله ، وهكذا فإن





مباني المستشفى تم شراؤها لمدارس الأولاد ، وتم استخدام المال لإقامة مستشفى العمارة ، الذي هو الآن يخدم منطقة فقيرة واسعة .

وعلاوة على المستشفى ، فنحن نأمل في زيادة الأعداد القليلة من الذين اعتنقوا المسيحية من العراقيين ، ولكن يبدو أن هناك صعوبات كبيرة تواجهنا في سبيل تحقيق ذلك .

ولعل هذا يُشعِرنا دائماً بأننا مقصرون إذ أن أعداد المتنصرين ما تزال قليلة ، برغم عملنا الدائب .

ومن الواضح أن لمدرستنا تأثيرات على الآلاف من الخريجين الذين يحدثون بدورهم تأثيرات على المجتمع والناس في العراق حيث إنهم ــ أي الطلبة ــ معروفون بأخلاقهم وسلوكهم الممتاز وحبهم لعمل الخير .

وحتى لو كانوا ليسوا مسيحيين ، فإن عقول هؤلاء مفتوحة وهم أصدقاؤنا في هذه البلاد . والآن وقد تحققت إرادة العراق الوطنية ، وانسحبت جميع الإدارات الأجنبية من العراق سريعاً ، فإن الكثير هنا أدرك بأن الحرية لوحدها لا تكفي ، ولكن السلوك مطلوب للحفاظ على الحرية من أن يساء استعمالها ، فالحرية شيء ثمين مع إننا نلاحظ أنه في كل العراق لا يوجد أحد يسيء إلى هذه الحرية .

تغيرت البصرة ، لكن عملنا لم يتغير وصار يكلف الكثير من التضحيات .

وفي المقبرة التي يلفها سكون الموتى والتي تبعد مسافة قليلة عن

شمال المدينة ، تقع قبور طبيب الإرسالية كريستن بينت ، وبينكليرت ، ورى دى يونغ ، وجميع أعضاء الإرسالية الأمريكية الذين ماتوا في ومن أجل الجزيرة العربية خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية .





**المبشر الأمريكي «جون بادو» في بغداد عام ١٩٣٥م:**

# مكتبة التبشير تحاكم بالكفر !

**كان المبشر الأمريكي «جون بادو» واحداً من أهم المبشرين وعضواً فعالاً في الإرسالية الامريكية في العراق في ثلاثينيات القرن الماضي .**

**في بداية عام ١٩٣٥م طلبت إدارة تحرير مجلة «الجزيرة المنسية» التي تصدرها الإرسالية في أمريكا من المبشر «بادو» تقريراً عن عمل التبشير في بغداد للعام نفسه ، فكتب إليها يقول :**

إن أعمال التبشير المسيحي التي نقوم بأنشطتها في بغداد لا تشعرنا سوى بالاعتزاز لهذا العمل . ولعل هذا الاعتزاز هو ما دفعنا ويدفعنا دائماً إلى الكفاح قدماً في طريقنا .

ولعل مكتبتنا الصغيرة لبيع الكتب والكراريس المسيحية في بغداد أكثر أعمال التبشير أهمية بالنسبة لنا .

وفي الواقع فإن أعمال المكتبة لهذا العام تبعث على الارتياح ، وخاصة بعد انتقالها إلى موقعها الجديد على أطراف سوق بائعي الكتب في (الكمرك خانة) .

ولقد سجلت المكتبة زواراً جدداً . وكنا نلاحظ ازدياد أعداد المترددين ، وكان عدد كبير منهم يأتون إلينا لأول مرة ومن مناطق مختلفة وبعيدة من مدينة بغداد .

وبجانب هؤلاء الزوار كان يأتي إلى المكتبة المسيحية جموع دائمة من التلاميذ وطلبة المدارس ، علاوة على زوار كنا نغريهم بالمجيء .

كانت قاعة المطالعة بالمكتبة تحتوي على الكثير من الكتب الدينية المسيحية والكتب الدراسية مثل : «حياة فيصل» و«تاريخ تيمورلنك» و«الكون وعجائبه» وغيرها .

وإضافة إلى الكتب كانت قائمة المطالعة تحتوي على بعض المجلات الدينية مثل المجلة الشهرية للشباب المسلم في العراق .

وفي الواقع كان الهدف من هذا التوسع في عرض الكتب والمجلات وتوفيرها للزوار هو جذب القراء إلينا وزيادة أعدادهم . ولم تمر فترة قصيرة حتى أعطى هذا التوسع الكثير من النتائج الجيدة ، حيث لم تعد المكتبة مجرد مكتبة تبيع الكتب المسيحية بل مكتبة بها الكثير من المعارف ، وإن الدين هو أحد اهتماماتها .

كانت الصعوبة الحقيقية الوحيدة التي واجهت المكتبة هذا العام هي حادث اعتقال بائع المكتبة «قد هوري» ومحاكمته بتهمة الكفر وازدراء الدين .

بالطبع كانت تلك الحادثة امتحاناً كبيراً وصعباً للمكتبة بل وللإرسالية وعملها التبشيري كله في بغداد .

وقعت هذه الحادثة في بداية الصيف عندما جاء شاب سوري صغير السن إلى المكتبة . وقد شك البائع بعد لحظات من مجيئه بأنه ينوي إحداث مشاكل أو في نيته شر ، خاصة بعد أن لاحظ سلوكه . وقبل خروجه من المكتبة قام هذا الشاب بطرح سؤال خبيث وقاصداً إيقاعه بشرك ، وكان السؤال هو : هل المسيحيون يؤمنون بأن القرآن قد





رواد مقهى عراقي

نزل من عند الله؟ فرد عليه البائع بجواب كان التالي : إذا كنا نؤمن بذلك فإننا جميعاً سنكون مسلمين!

ولم ينتظر الشاب كثيراً ، فما أن سمع الإجابة حتى أسرع راكضاً إلى مركز الشرطة . وهناك اتهم البائع «قدهورى» بأنه سب الإسلام وأهان الدين .

ولم تمض أيام حتى جرى استدعاء بائع المكتبة إلى المثول أمام المحكمة في بغداد . وحضرنا مع البائع الجلسة الأولى للقضية ، غير أن القاضي قرر تأجيل الجلسة حتى يسمح للبائع بإحضار شاهد من الحضور في المكتبة كان موجوداً وقت وقوع الحادث .

وبعد فترة ليست بعيدة تم استدعاء البائع للجلسة الثانية . وكان

البائع محظوظاً وقتها لأن القاضي كان شاعراً مشهوراً في العراق ومستنيراً يدعى «جميل صدقي الزهاوي» . كان واضحاً منذ البداية أن القاضي الشاعر الزهاوي لم يكن متعاطفاً مع القضية لذلك رفض الدعوى حتى بدون أن يستدعي شاهد البائع المفترض حضوره إلى المحكمة .

وبعد انتهاء المحاكمة بفترة سمعت أن الشاب السوري الذي قصد إحداث القضية ومحاولة وإيذاء المكتبة ، قد طرد من العراق بسبب تواجده في بغداد بصورة غير شرعية وبدون أن يحمل حتى جواز سفر .

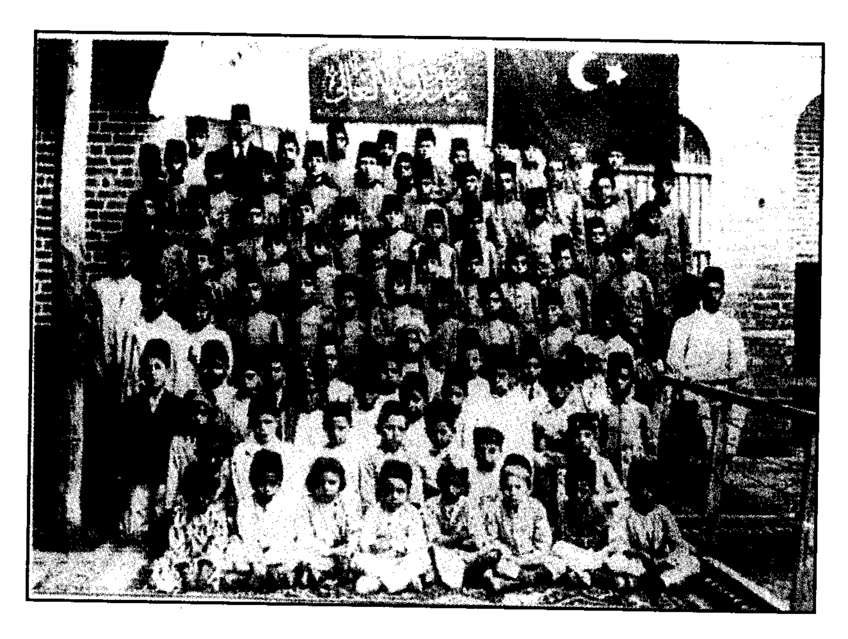
على العموم ، كان الحادث مؤلماً بالنسبة لنا وللبائع خصوصاً ، غير أن ما خفف عنا هو أن القضية تجنبت الصحف الإخبار عنها ولم تنتشر بشكل واسع بين الناس في بغداد .

وقد كان مبعث سرورنا بشكل خاص أن نجد إن الحكومة العراقية كانت مستعدة لتحقيق العدالة في هذه القضية ، بالرغم من كون القضية تتعلق مباشرة بالدين الرسمي للدولة .

وبالرجوع إلى المحاكمة ، فإننا نشعر الآن أن القضية حسمت سابقاً قبل حتى تعيين القاضي الشاعر الزهاوي ، الذي رفض التهمة بحزم . وبالطبع فقد خيبت هذه المحاكمة ورفض التهم مطلقاً أولئك الذين ظنوا أن بإمكانهم الاستفادة منها والتشهير بنا وإيقاع الضرر بعلاقتنا مع المسلمين والعراقيين عموماً .







تلاميذ مدرسة البصرة

وخارج قضية المكتبة ، كانت الاجتماعات في مركز التبشير في بغداد تسير بشكل جيد . أما الحضور فكان جيداً أيضاً وأفضل من الفترات السابقة . ولاحظت أن أعداد الزوار في تزايد ، والمسلمون يأتون إلى المركز بشكل أكثر من السابق .

ورغم ذلك ، فإنه من الصعوبة الحصول على أعداد منتظمة تحضر اجتماعات مركز التبشير فهناك أشخاص وطلاب يحضرون لأسابيع ثم يختفون بدون أسباب معروفة ، وأعرف أن بعضهم مهتم كثيراً بالروحانيات في الحياة .

وبالطبع لدي خطط كثيرة لجذب جمهور أكبر لاجتماعاتنا ، كما

أنني مازلت أؤمن بأهمية تدبير اجتماعات لغير المسيحيين في العراق .

وبجانب ذلك فإننا نستطيع إنشاء وتعزيز مجموعات مساندة لنا في المركز والإرسالية عبر دعوة كل المسيحيين هنا لحضور الاجتماعات .

وأستطيع تسجيل أن المجموعة القليلة من المتنصرين العراقيين قد عاشوا سنة اعتيادية ولم تسجل ضدهم حوادث تذكر .

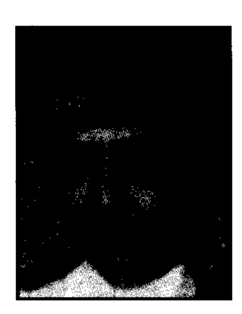
فلا يوجد أحد من الموظفين الذين تنصروا قد فقدوا وظائفهم بسبب هذا ، ولكن يبدو أن هناك اثنين من المتنصرين لديهم مشكلة ما .

وأستطيع التأكيد أن الإرسالية ومركز التبشير لديهما بعض الطلبات للعمودية . لكن لظروف مختلفة تتغير رغبات هؤلاء .

وأغلب تلك الظروف أن شروط الحياة وحالاتها هنا في العراق وخاصة بالنسبة للمسلمين المؤمنين قاسية جداً ، بحيث أن الذي يستطيع التنصر علناً هو استثناء بين رجال كثيرين يريدون اعتناق المسيحية ، وهولاء الذين يستطيعون التنصر في العلن هم قليلون جداً في الوقت الحاضر .

ولعل التحدي الأكبر الآن بالنسبة لعملنا التبشيري المسيحي في بغداد هو التحدي الذي يواجهة الشباب والأجيال القادمة أمام الزندقة والإلحاد والخرافات في مقابل الدين . إن هذا التحدي يفرض مواجهته بقوة .





## مؤلفات الكاتب خالد البسّام

١- تلك الأيام ، حكايات وصور من بدايات البحرين ، الطبعة الأولى : مطبوعات بانوراما - البحرين ١٩٨٦ . الطبعة الثانية : مطبوعات بانوراما - البحرين ١٩٨٧ .

٢- رجال في جزائر اللؤلؤ ، الطبعة الأولى ، البحرين ١٩٩١ .

٣- القوافل ، رحلات الإرسالية الأمريكية إلى مدن وقرى الخليج والجزيرة العربية ١٩٠١ - ١٩٢٦ ، الطبعة الأولى : البحرين ١٩٩٣ ، الطبعة الثانية : دار قرطاس - الكويت ٢٠٠٠ .

٤-خليج الحكايات ، الطبعة الأولى : رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، ١٩٩٣ .

٥- مرفأ الذكريات ، رحلات إلى الكويت القديمة ، الطبعة الأولى : دار قرطاس للنشر - الكويت ، ١٩٩٥ .

٦- صدمة الاحتكاك ، حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٢٩-١٩٥٢ .

٧- بريد القلب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠ .